

مراجعات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية (العدد رقم: 93)

جمادى الآخرة 1444هـ - يناير 2023م

الصفحة الأولى...

هلال الحجري

من القصائد الإنجليزية المتأثرة بالأدب العربي قصيدة بعنوان «أغنية حُبّ عربية» للشاعر البريطاني فرانسيس طومسون (1907-1859). Francis Thompson وهو شاعر اتسم بنزعة صوفية كاثوليكية، ولكنه لم يعمر؛ إذ عاش في بؤس وفقر، وقد تشرد في شوارع لندن وأدمن الأفيون، حتى مات بالسل وعمره 47 عاماً. أكثر أعماله شهرة وتأثيراً كتاب غريب بعنوان The Hound of Heaven، أو «كلب السماء»، وهي قصيدة طويلة تتكون من 182 بيتاً تروي قصة روح ضائعة وطريفة، نشرها عام 1890، وتحولت إلى مصدر إلهام لكثير من الشعراء والروائيين والفنانين.

أما قصيدته «أغنية حُبّ عربية» فقد نُشرت لأول مرة في مجلة The Dome (المجلد 2، العدد 4، يناير 1899)، ثم أعيد نشرها عام 1910 في مجموع شعري بعنوان «عيون الشباب Eyes OF Youth» تضمن قصائد لأحد عشر شاعراً من بينهم طومسون.

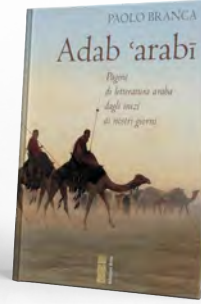
يعتقد بعض النقاد أن كاتبة شابة تدعى كاتي كينج Katie King، أحبها طومسون ولكن ألقها رفضته ووجهت له خطاباً تحذيرياً مؤلماً؛ فكانت كاتي هي الملهمة لهذه القصيدة الرومانسية العجيبة. ومع ذلك، من المؤكد في سيرة طومسون أنه زار الشاعر الإنجليزي ويفريد سكاوين بلنت، بصحبة الصحفي والناشر ويفريد مينيلز في أكتوبر 1898، وأنه اطلع على ترجمات بلنت لقصائد من الشعر الجاهلي. وعليه، يمكن القول إن طومسون أيضاً تأثر بالشعر العربي في كتابته لهذه القصيدة.

(أغنية حُبّ عربية)

سَحَابٌ كَأَسِنَّةِ النَّوْقِ يَسْرِي
وَيَحْجُبُ أَنْهَارَ صَوْبٍ
مِنَ الْأَمَقِّ تَجْرِي.
وَعَمَّا قَلِيلٍ، بَتَوَلُّ الضُّحَى
سَتَتِيهَ، خِلَالَ السَّمَاءِ، وَتَرْقُصُ
بَيْنَ لُفَيْفِ النُّجُومِ.
وَإِذْ يَذْلَهُمُ الظَّلَامُ عَلَي حُبْنَا،
أُنَادِيكَ يَا قَمَرًا فِي دَمِي؛
تَعَالَى أَضْيَيْ لِي اللَّيْلِ،
يَلْتَقِطُ الْقَلْبُ أَنْفَاسَهُ،
يَا ضِيَائِي تَعَالَى؛ فَإِنَّ الظَّلَامَ وَجُومِ.
سَتَرْجُلُ عَنْ أَهْلِنَا
سَأَكُونُ لَكَ الْوَالِدِينَ،
عَشْرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ!
خِيَامَ قَبِيلَتِكَ السُّودَ مَاذَا سَتَجِدِي،
وَمُسْتَطَابِكَ الْأَحْمَرَ الْآنَ
فِي الْقَلْبِ قَصْرُ مَكِينِ؟!



تسريع التاريخ من التنوير إلى الأنثروبوسين
كريستوف بوتون



الفكر العربي: من البدايات إلى اليوم
باولو برانكا



في محاكمة بيكو الميراندولي: الهرطقة والحرية والفلسفة
برايان كوبنهافير



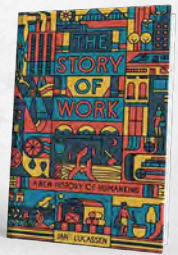
الثقافة كقوة ناعمة
إليزابيث كاربو كاتالان وديانا روج سانز



أمريكا وإيران: تاريخ في العلاقات من 1720 إلى الآن
جون غازفينيان



الحروب الأهلية في الهند
أن. كيه. بهوبيش



قصة العمل: تاريخ جديد للبشرية
جان لوكاسين



حرب الرقائق: القتال من أجل التكنولوجيا
كريس ميلر



لماذا لم يخبرني أحد بهذا من قبل؟
جولي سميث



الدير: بنديكت السادس عشر، تسع سنوات من بابوية الظل
ماسيسمو فرانكو



القصة الموجزة للاضطرابات الروسية
ياكوف ميركين

إصدارات عالمية جديدة



الصفحة الأخيرة



في محاكمة بيكو الميراندولي: الهرطقة والحرية والفلسفة برايان كوبنهافير

محمد الشيخ *

يستحق الفيلسوف النهضوي الإيطالي بيكو الميراندولي (1463-1494) أن يندر له أكثر من كتاب. لأنه، فقط، يعد من فلاسفة النزعة الإيطالية النهضوية الذين طالما ظلّوا كثيرا بتهميشهم حتى في التأريخ للفكر الفلسفي النهضوي الإيطالي ومنزعه الإنساني، ولكن أيضا لأن العالم العربي والإسلامي في حاجة إلى التعرف على هذا الفيلسوف، الذي يكاد يكون استثنائيا في تاريخ فلاسفة الغرب المحدثين. وذلك؛ بسبب عدم ترده في أن يضع ترويسة لأحد أهم كتب عصر النهضة الفلسفية «خطبة في كرامة الإنسان» تشهد لمفكري العرب والإسلام بأنهم أنشأوا نزعة إنسانية عظيمة لا يلتفت إليها إلا فيما ندر.

على أن الرجل ما كان بطلا للحدث ولا نبيا للتنوير؛ فقد حرر بيكو كتابه الثاني في الدفاع للمحاماة عن أطروحته التسعمائة التي أوردتها في (إعلان الأطروحات) والذي نشره من قبل. وكان (إعلان الأطروححات) قد تسبب في جلبه. وكان البابا قد أدان ثلاثين أطروحة منها بعد مضي أسابيع فقط من صدورها. وللرد على اتهامات البابا؛ عمد بيكو إلى تقسيم دفاعه إلى ثلاثة عشر قسما سماها باسم «المسائل». ونظرا لتعذر الإحاطة بها جميعا؛ فقد عمد مؤلف كتابنا هذا إلى انتقاء ثلاث مسائل منها تهدف إلى تفكيك صورة بيكو «بطل النزعة الإنسانية» و«نبي التنوير الغربي»؛ فكان أن جاءت خلاصات فصول الكتاب على النحو التالي:

الفصل الأول: النزعة الإنسانية تروح إلى الجحيم

لوضع المسائل في سياقها؛ تناول الفصل الأول كتاب الدفاع مأخوذا على وجه الجملة؛ وذلك بحيث أورد المؤلف سياق النزاع بين بيكو وقضاة البابا في أمر قضايا المذهب المسيحي العقدي الرئيسية؛ نظير عقيدة التجسيد، وهبوط المسيح إلى السماء، وجسد المسيح القرباني، وضرورة الاعتقاد في صحة هذه العقائد. ومعقد الجدل هنا قضية بشرية المسيح وربوبيته، واستدلال بيكو عليها بطريقة فلسفية أثارت حفيظة رجال الكنيسة. وهي الطريقة التي رأى فيها مؤلف الكتاب أن بيكو نهل بها من الفكر الوسيط الذي جعل من الرب مركز كل تفكير بشري، وهمش دور الإنسان. وقد ضحى بيكو. بنهله هذا من النزعة الربوبية. بكل النزعة الإنسانية التي نسبت إليه؛ مُطوِّحا بها في أتون جهنم.

الفصل الثاني: ما الذي تضمنته لفظة؟ الماورائيات

والدلائليات

واصل المؤلف في هذا الفصل بحث المسألة العقديّة بين بيكو ومتهميه، بتحليل اللغة المستعملة في الخطاب تحليلًا لسانيًا دلاليًا ومنطقيًا، على عادة مناهج الفلسفة الأنجلوسكسونية؛ ذلك أن بيكو قد لجأ في تسويغ هذه

وإنما الرجل كان داعية، وكان مبتغى دعوته في مختلف مشاريعه إقناع المسيحيين أن يصيروا من أهل القبالة (التصوف اليهودي)؛ بغاية إفناء أنفسهم في الرب، وإقناع الفلاسفة بأن طريقهم إلى صون الحكمة ما كان طريق خلاف وإنما هو طريق وفاق.

وها هو مؤلف الكتاب يعود، بعد مضي ثلاث سنوات على كتابه المذكور، إلى نكأ هذا الجرح الذي أحدثه في قراءة متن بيكو الميراندولي. وذلك في كتابه الجديد: «في محاكمة بيكو الميراندولي» (٢٠٢٢). وهو كتاب يعد كما أسلفنا بمثابة الذيل والتكملة على كتابه السابق؛ إذ الغرض منه إظهار أنه بعد أن دبح فيكو خطبته، ما كان هو بالفكر «التقدمي»، لا ولا بالحكيم «الإنسي» سواء بسواء. وإنما الشأن في كتاب الدفاع الذي ألفه بيكو محاماة عن نفسه من تهم الهرطقة. وهو كتاب ما كان كالخطبة من باب المظنون به على غير أهله، وإنما هو من باب المصرح به إلى الجمهور. أنه يبدي حقيقة دعوته أكثر من خطبته الشهيرة التي ما خطب بها قط وما أسرأ بأفكارها. ولئن كان بيكو قد نهج في خطبته نهج الشيء المظنون به على غير أهله، فكان أن عمى فيها التعمية وشعر فيها الشعر، فإنه بالضد من ذلك نهج في كتاب دفاعه هذا نهج الإعلان لا الإسرار، والبيان لا الكتمان. وقد لاحظ المؤلف أن كتاب الدفاع قد تنوسى، وربما لم تستأنف قراءته منذ خمسة قرون مضت، ورجح أن يعود الأمر إلى حجمه الكبير بالقياس إلى صغر حجم الخطبة، وإلى طريقة تأليفه المتشعبة التي تخالف طريقة الخطبة السهلة التناول.

وقد يصدم المؤلف من يقرأ كتابه هذا لأول وهلة بتصريحه أنه: بما أن خطبة بيكو قد أسيئت قراءتها لزمّن طويل، فقد صنعت منه «بطل الحداثة» و«نبي التنوير» صناعة. ويزعم مؤلف الكتاب أن البغية من خوضه في أمر محاكمة بيكو الميراندولي، إنما هي إبطال هذه الصناعة، وذلك بالتأكيد

وكان بيكو الميراندولي قد افتتح رسالته في كرامة الإنسان مخاطبا رجال الكنيسة في روما. وكانت سطوتهم على النفوس والأبدان آنذاك سطوة عظيمة. بالقول الجريء الذي يكاد يكون استثنائيا في نظرة مفكري الغرب إلى مفكري العرب: «أيها الآباء المجلون، قرأت في كتابات العرب أن عبد الله المسلم، لما سئل عما يبدو له أنه يستحق في مشهد العالم هذا أن يكون موضع تساؤل، ما كان منه إلا أن أجاب: لا شيء يمكن أن يُعابن أطلب للعجب من الإنسان». ولعبد الله المسلم هذا قصة عجيبة طويلة تحتاج لوحدها إلى أن تفرد بمقال.

في كتابه السابق حول بيكو الميراندولي وخطبته في كرامة الإنسان، الموسوم باسم: «السحر وكرامة الإنسان: بيكو الميراندولي وخطبته في الذاكرة الحديثة» (٢٠١٩). وبعد أن صحب برايان كوبنهافير فكر بيكو لأزيد من خمسين سنة حتى استألفه. سعى كوبنهافير إلى تصحيح صورة بيكو الميراندولي وخطبته في أحوال المحدثين: كلا؛ ما اشتهرت أبدا هذه الخطبة في زمنها، وإنما لاقت الإهمال بسبب إدانة البابا إينوسانت الثامن لأطروححات بيكو الواردة في هذا الكتاب وفي كتاب الأطروححات. وكلا، ما كان قصد بيكو مفهوم «الكرامة» بمعناها الحديث؛ أي بالمعنى الذي رسخه خطاب كانط في كرامة الإنسان. وكلا؛ ما كان بيكو «بطل الكرامة والحرية» كما أساء قراؤه المحدثون قراءته: من تينمان إلى كريستلر مرورًا ببوكهارت وجارسان وآخرين. وذلك بحيث أنهم سعوا إلى أن يصيروا منه «بيكون التقدم» في الزمن الحديث، فكان أن احتقوا بخطبته في كرامة الإنسان أيما احتفاء، وذلك إلى حد أنهم جعلوا منها أداة اشتهاره بين المحدثين. أكثر من هذا، يذهب النقد الراديكالي برايان كوبنهافير إلى حد أن ينفي أن تكون الرسالة الخطبة من تأليفه التأييف الحق، وإنما هي «توليفة» من بعض أعماله أنشئت كتابا وما هي بكتاب، بل شُبّه لقراءته أنها كتاب خطبة.



حوليات للخطيئة. وإنه لوجه بيكو القروسطي القائم على تقليد شيوخ القرون الوسطى.

يخلص مؤلف الكتاب إلى ما يلي: خلال سحابة حياته، التي كانت شديدة القصر. سمح بيكو بطباعة ثلاثة مؤلفات من مؤلفاته فقط هي كتاب «الدفاع» وكتاب «الأطروحات» وكتاب «هيبثالوس». ولم يكن أي واحد منها يمثل مشروعا إنسيا. فكيف أمكن، يا ترى، لهذا أن يصير أيقونة النزعة الإنسانية وهو الذي لم يحرر إلا القليل النادر في النزعة الإنسانية، ولم ينشر إلا النزر القليل؛ الحال أن من شأن كتابات بيكو، التي يجدها المؤلف غارقة في القروسطية، أن تبدو غريبة لقراء محدثين يقبلون عليها لأول وهلة. وإنها لا تعبر تعبيرا حقيقيا عن النزعة الإنسانية، على نحو ما نعتز عليه عند روادها الحقيقيين المغمورين مثل بوجيو براتشوليني وأنيولو بوليزيانو ولونزو فاللا وآخرين هم أقل منه اشتهارا، ولكنهم ينطبق عليهم بحق توصيف «أصحاب النزعة الإنسانية». أما بيكو، فلا يرى فيه المؤلف . انطلاقا من دراسته لغير الخطبة الشهيرة. سوى رجل كان تفكيره «وسطويا» و«سكولائيا»، ولم يكن تقديمه لنفسه «حديثا»، ولا «ممهدا لما هو حديث». ولئن كان بيكو الميراندولي قد أمضى أعواما في الانكباب على تدارس الفلسفة، وتسمى باسم «الفيلسوف» على وجه الدوام وبإلحاح منه شديد، فإن مؤلف الكتاب يرى أن بيكو كان محقا في دعواه، على أنه كان فيلسوفا وسطويا على طريقة توما الأكويني ودانس سكوت وجليوم الأوكامي؛ لكن حسب أنظار الفلاسفة التحليليين اليوم، فإنهم باتوا يجدون طريقته في التفلسف غريبة حقا وغير مجدية. ولذلك لطالما أطرحوها فلسفته، بل لم يعدوها فلسفة بحق.

ينتهي مؤلف الكتاب بالإقرار بأن كتابه هذا لا يسعى إلى النظر إلى بيكو الميراندولي من خلال أدوات الفلسفة الأنجلوسكسونية المعاصرة. على أن ما يمكن أن يعاب على المؤلف أنه عمد إلى تضيق واسع؛ وذلك بأن جعل الفلسفة الأنجلوسكسونية عيارا على الفلسفة بعامة. وما هي بالعيار الأوحى الأفردي، بل هي مجرد عيار بين عبارات أخرى أوسع وأرحب تجاهلها المؤلف، مع الأسف.

الكتاب: في محاكاة بيكو الميراندولي:

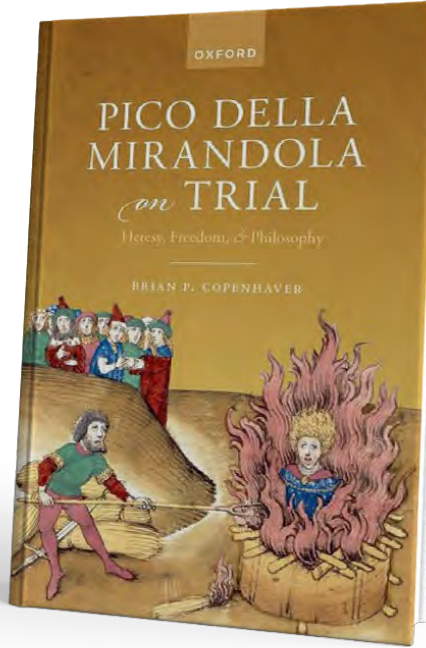
الهرطقة والحرية والفلسفة

اسم المؤلف: برايان كوبنهايفر

دار النشر: مطابع جامعة أوكسفورد

سنة النشر: 2022

* أكاديمي مغربي



هذه التي دارت عليها فصوله السابقة، ودلالة الألفاظ التي أعملها بيكو وتخرجت منها الكنيسة، إلى ما يسميه «أخلاقية الاعتقاد»؛ أي إلى ما يعتبره مؤلف الكتاب الوسط أو المحيط الخلقى لأنظار بيكو في أمور الإيمان؛ مثل عقيدتي القريان والتجسيد، وإدانة معارضيه لأنظاره. ذلك أن رجال البابا الذين أدانوا ما اعتقده بيكو، حسبوا أن بعضا من العقائد لا يمكن المس بها بأي حال؛ لأنها هي طريق النجاة الأوحى، وما يحيد عنها إلا هالك. وبيكو يوافقهم الرأي، من حيث المبدأ، لكنه من الوجهة العملية كان عليه أن يدافع عن نفسه في محاكمة بالبدعة أو الهرطقة.

الفصل السادس: بيكو الحر وغير الحر

يتساءل المؤلف هنا: بالنظر إلى الزمن . نهاية القرن الخامس عشر. وإلى المكان. إيطاليا. ترى، من ذا الذي كان محقا في مسائل العقيدة ومن ذا الذي كان مبطلا فيها: أهو بيكو أم مهاجموه؟

والنتائج التي ينتهي إليها تتمثل فيما يلي: منذ منتصف القرن الماضي، عملت معظم التصانيف المدرسية على تبيان وجه واحد فقط لبيكو الميراندولي: وهو وجه بطل النزعة الإنسانية التقدمية «المزعوم». لكن موقفه في كتابي «الأطروحات» و«الدفاع»، وهو ناتج عن الثقافة الوسيطية المتأخرة، لم يكن بأي وجه من الوجوه موقفا تقديميا؛ لأن بيكو المستأنس به والموجه وجهه صوب التقدم غير بيكو الذي حرر كتاب «الدفاع». وإنما من فعل ذلك هو بيكو الآخر: وجه بيكو المظلم، الخائض لمعركة حفظ حياته وصون شرفه، ولو بالتكرار لمبادئه، بما من شأنه أن يذكرنا بالقرون الوسطى، حيث احتقر تاريخ البشر بوصفه مجرد

العقائد إلى النهل من اللاهوت السكولائي الوسطوي، كما هو عند توما الأكويني ودانس سكوت ووليام الأوكامي وجون كابرول وبيير بالود وجون كيدرو وآخرين. وبالجملة، عمد بيكو إلى الاستنجد بحفنة أعلام من مرجعيات القرون الوسطى من مغموري المفكرين ومشهورهم سواء بسواء، والاستعانة بألفاظهم التي دلوا بها على المعاني التي أرادوها. وكانت ألفاظا مدارها بين التخصص والغموض. ساعيا هو إلى الكُنة من هذه الاصطلاحات. يظهر هذا الفصل عمق ما تعلمه بيكو من أهل القرون الوسطى، كما يؤكد نهله من تراث ربوبي المنحى والمركز، معاديا بالطبع لكل نزعة إنسية تحريرية تقدمية.

الفصل الثالث: ما الذي يمكن إقلاقه؟ قضية بيكو الرابعة

مدار الفصل الثالث على تحليل رواية بيكو عن تعاليم عقيدة التجسد. وهي الرواية التي خصها بأطروحة من أطاريحه التسعمائة، وأثارت حفيظة البابا الذي سرعان ما هاجمها وهاجم الأطروحات الأخرى أيضا. وهنا يتساءل المؤلف: ترى، أيهما كان على صواب وأيها كان على خطأ فيما يخص عقيدة التجسيد: أهو بيكو أم معارضوه البابويون؟ وجواب المؤلف أن الأمر موقوف على طريقة استعمال الألفاظ للتعبير عن هذه الأمور العقديّة. أما بيكو، الذي لم يكن ماضيا في دعواه مشتطا فيها، فقد وقر كنيسة تعدم أناسا مثله، قبل محاكمته بتهمة الهرطقة وبعدها؛ وذلك لأن رجال الكنيسة كانوا يعاملون الأجوبة الفاسدة الواردة عن الأسئلة كما لو كانت هي خطايا جسيمة. وليست مجرد سوء تفاهم. عاذين إياها إهانات في حق الرب تستحق أن تعاقب بالإعدام. ومن هنا باتت الأخطاء في الألفاظ توشك أن تكون مهلكة.

الفصل الرابع: أين جسد الرب؟ قضايا بيكو السادسة والتاسعة والعاشر

يتناول الفصل الرابع من الكتاب ثلاث مسائل عقديّة مدارها على مسألة تجسد الرب. ذلك أن بيكو، الذي كان رجلا مسيحيا تقيا ورعا يأتي إلى الكنيسة ويصلي فيها، اعتقد أن من شأن المسيح أن يحل في جسده في عين مكان تواجده. وسائر المسيحيين يعتقدون أن المسيح يأتي في كل يوم. بلحمه ودمه، بروحه وربوبيته. إلى مذابح الكنائس أتى وُجدت هي. على أنه لا أحد منهم عاين الجسد أو الدم. وفي كل هذه الأماكن، ما يُعاين هو طقوس الخبز والخمر التي يباركها القس. فكيف إذن يمكن ذلك؟ عالج بيكو هذه المسائل في ثلاث من أطروحاته المدانة، فضلا عن أطروحة عقديّة رابعة يوردها المؤلف بحجياتها.

الفصل الخامس: ترى هل الهرطقة إرادية وقصدية؟ في هذا الفصل يغادر المؤلف إمبراطورية اعتقادات التجسيد



الفكر العربي: من البدايات إلى اليوم باولو برانكا

عزالدين عناية *

الكتاب هو محاولة تأريخ للفكر العربي من العصور الأولى إلى التاريخ الراهن. وهو مسعى لإعطاء بسطة عامة عن فحوى الفكر العربي في هذا الحيز الزمني اللغوي المترامي للدارس الإيطالي المعني بدراسة الإنتاجات العربية. ولعل أهمية الكتاب تكمن في التطلع إلى سدّ ثغرة أمام قلة الأبحاث والدراسات التي تقدّم بسطة بانورامية عن الفكر العربي في اللسان الإيطالي. الكتاب منجز من قبل مؤلف إيطالي يشتغل في مجال التدريس الجامعي، وعلى دراية موسعة بالثقافة العربية، وهو على صلة قريبة بحاجة الساحة الأكاديمية الإيطالية، تأتت بفعل اشتغاله على مدى عقود في مجال التدريس والبحث. صحيح هناك أعمال إبداعية عربية في الفلسفة والدين والتصوف والشعر والرواية والمسرح مترجمة إلى الإيطالية، ولكنها لا تفي بالغرض في إعطاء نظرة عامة عن الفكر العربي سواء من زاوية تاريخية أو تحليلية أو نقدية. فجّل الأعمال الأكاديمية أو غير الأكاديمية المنشورة هي غالباً ما تغطّي مواضيع حصرية خاصة بكتاب أو بمجالات بحثية محدّدة.

الثامن، فهو لم يتجاوز ١٢ صفحة، فقد أعدّه كاتب آخر باولو غونزاغا، وقد تعلقّ أساساً بالأدبيات الإسلامية. بدا الفصل كأنه مقصّم. وفي الفصل التاسع والأخير من الكتاب، المعنون بـ «الفكر العربي المعاصر»، يستعين الكاتب بمجموعة من الدارسين المتخصصين في آداب البلدان العربية، كل بحسب مجاله واهتمامه، غطّت إسهاماتهم الجزائر والأردن والعراق ولبنان وليبيا والمغرب والسودان وتونس، واختار من جانبه إتمام الصفحات المخصّصة لفلسطين وسوريا والمملكة العربية السعودية واليمن، ليقدّم كل كاتب مدخلاً عاماً عن تطور الكتابة الفكرية وتحولاتها مع التعرّيج على أهم الأسماء وانشغالاتها.

وفي مجال العرض البانورامي للفكر العربي، تبدو الأعمال الإيطالية الصادرة في الموضوع قليلة، ولذلك تأتي مجمل الكتب المعتمّدة في إيطاليا في عرض الفكر العربي القديم منه والحديث متأتية من لغات أجنبية أو مترجمة، مثل كتب محمد مصطفى بدوي، أو كذلك كتابات أندريه ميكيل وروجر آلين وآخرين. ومن هذا الجانب يمثل كتاب باولو برانكا إضافة مهمّة نظراً للنقص الفادح الموجود في الساحة الثقافية. والملاحظ بشكل عام أنّ أغلب الدارسين، سواء منهم المبتدؤون أو المتقدمون، يعوّلون كثيراً في الاطلاع على الأعمال الفكرية العربية على ما يصدر باللسان الإيطالي. ومن هذا الباب لا تفوز الكتابات العربية المؤلفة باللسان العربي بحضور في أوساط الدارسين بشكل عام، بفعل وهن عسر التواصل المباشر مع تلك المراجع على كثير من الدارسين.

فمما لا يخفى على الدارس المتابع، أنّ انتشار تدريس اللغة العربية والدراسات العربية يسير بشكل متطور في كثير من الجامعات الإيطالية للعلوم الإنسانية، ولا يوازيه توفر قدرة لدى المدرّسين الجامعيين أو الدارسين الطلاب، بما يسمح للفحوص المباشر في الأعمال العربية، وهو ما يجعل التعويل

استعراض جملة من نصوص مشاهير تلك الفترة، ويحاول القيام بتحليلها واستنطاق مضامينها. فيستخلص برانكا الجانب الفكري في مقول الكاتب العربي في تلك الفترة مبرزاً هويته المعرفية المستقلة عن هويته الدينية.

ينطلق المؤلف من تحديد المشاغل الجوهرية للكاتب العربي في تلك الفترة الكلاسيكية من خلال التطرق بالخصوص إلى موضوعي الحياة والموت، ثم ينزاح باتجاه معالجة موضوع «الأدب الصوفي»، الشعري والنثري، بوصفه مكوناً أساسياً من مكونات الفكر العربي الكلاسيكي وفق منظوره. يأتي على ذكر ثلّة من المتصوفة وتحليل مجموعة من أعمالهم مبرزاً عمقها الروحي وانفتاحها على «ثيمة» الإيمان المنفتحة على التجارب الروحية الكتابية وغير الكتابية. يُعرّج صاحب الكتاب عقب ذلك على ما يطلق عليه «حقبة الانحطاط» التي سبقت وأعقبت لديه الفترة الأندلسية، التي طبعت الفكر العربي بتغيّر جذري. وفي الأثناء يولي الكاتب كتاب «ألف ليلة وليلة» عناية بوصفه تراثاً مغايراً يُعرب عن تراجع المواضيع «المطلّقة» أو «المفارقة»، كما يسميها، في الفكر العربي، لتفسح المجال إلى المواضيع المغرقة في «الديونية». والواقع أنّ هذا المبحث قد أتى مفرطاً في الإيجاز ولم يتناول الأعمال الفكرية بما يكفي، سواء منها في الفترة الأندلسية أو التي سبقتها أو تلتها، واقتصر المؤلف على نماذج سريعة لم تستوف ما يطلق عليه «حقبة الانحطاط». في الفصول الثلاثة: الخامس والسادس والسابع، تناول الفكر العربي الحديث والمعاصر، واستعرض كيفية تشكل هوية الفكر العربي الحديث بالتواصل مع الغرب، ومحاولات إدخال روح جديدة على الكتابات العربية من خلال التطرق إلى لحظات ميلاد الفكر الحديث والنقد، والجدل الذي ثار في الثقافة العربية الحديثة بين تياريّ المحافظة والتجديد، حتى اتخذت الثقافة العربية هويتها الحالية. وأما الفصل

في هذا المؤلف وزّع الكاتب عمله على عشرة محاور غطّت انشغالات الكتاب، وجاءت معنونة على النحو الآتي: الفترة القديمة؛ ظهور الإسلام وعصور الازدهار؛ الفترة العباسية في بغداد؛ حقبة الانحطاط؛ الفترة الحديثة والمعاصرة؛ الفكر الحديث والمعاصر؛ بلد كبير وكاتب كبير؛ أدبيات الإسلام السياسي؛ الفكر العربي المعاصر؛ خاتمة.

في مطلع الكتاب، يشير المؤلف إلى إشكالية الكتابة عن الفكر العربي، بفعل الامتداد الهائل على مستوى تاريخي وعلى مستوى جغرافي؛ لكن ذلك يمكن تخطيه بحسب رأي الكاتب من خلال التركيز على الجوانب المشتركة بين الجهات والمرجعية الكبرى لهذا الفكر. حاول المؤلف الانطلاق من التشكلات البدائية للفكر العربي مع الفترة الجاهلية، سواء الواردة منها في الشعر أو النثر، وقد خصص لذلك فصلاً على حدة بعنوان «الفترة القديمة». استعرض من خلاله قصائد بعض شعراء الجاهلية مثل امرئ القيس، وعمر بن كلثوم، وعنترة بن شداد، بتحليل مجموعة من القصائد المترجمة إلى الإيطالية. لكن الملاحظ ارتهان الكاتب في دراسة الفكر العربي في هذه الفترة إلى النصوص المقدسة الكتابية الثلاثة (التوراة والإنجيل والقرآن) من حيث تفهّم المواضيع والقضايا التي تطرق إليها العرب الأوائل في أشعارهم. وهو لا يخصّص لكل مساهم دراسة على حدة؛ بل يحاول التطرق إلى ملامح الموضوع الواحد مثل «الموت»، أو «الحياة»، أو «الغزل»، أو «النثر»، عبر ما يصوره أدباء الجاهلية وشعراؤهم، والنظر في أبعاد ذلك من خلال النصوص المقدّسة التي شكلت لديه مرجعية عليا لمخيال الجاهلي. يتغير هذا المنهج نوعاً ما عندما يعالج باولو برانكا الفترة الكلاسيكية للفكر العربي، سيما إبان الحقبين الأموية والعباسية، ليغدو مخيال الأديب أو الشاعر أو الفيلسوف العربي مسكوناً بالقيم المستوحاة من الدين الجديد، الإسلام. في الأثناء يسعى الكاتب إلى



الوقائع. وهو ما جعله في كثير من الأحيان يصطف في منحى الدراسات المغالية، التي لا تشجع على التقارب، ولا تنحاز إلى الحوار الحضاري؛ إذ يلمس المطلع على مؤلفات الكاتب، لا سيما التي عالجت القضايا الدينية مركزية مفرطة. وقد أبان المنهج التاريخي الذي اعتمده المؤلف في التأريخ للفكر العربي عن ثغرات هائلة من حيث التعجل في دراسة بعض المراحل، وعدم التعمق في خصوصيات بعض القضايا الفكرية. وبالإضافة إلى ذلك، جاء تناول القضايا المعالجة مصبوغاً في كثير من الأحيان بهاجس السياسة والدين، وهو ما أثر على فحوى الكتاب. لا نقدر أن الكاتب كان موفقاً في العديد من الفصول في تناول أطوار الفكر العربي؛ فقد جاء بعضها أقرب إلى التحليل الذاتي المتفقد إلى سندات ودعائم، وهو ما أفقد الكتاب المتانة العلمية اللازمة.

للوهلة الأولى يغري الكتاب بالقراءة من حيث سلاسة العبارة ودقتها؛ إذ يميز المؤلف أسلوباً كلاسيكياً في الكتابة بالإيطالية. فهو بارع في استدراج القارئ من موضوع كلاسيكي إلى موضوع معاصر، مع قدرته على ربط ما هو أدبي بما هو ديني وسياسي. لكن لا يمكن القول إن الكتاب من ناحية منهجية قد التزم بالموضوع المحدد الذي ارتأى معالجته، في القديم والحديث؛ فقد اعترت الكتاب هنات، وطفى عليه الهاجس الديني بشكل واضح في معالجة جملة من القضايا، ناهيك عن إقحام مواضيع لا تُقدر أنها على صلة بموضوع الكتاب سوى من باب إغواء القارئ غير المختص، الباحث عن فهم متسرع للعالم العربي والثقافة العربية بشكل عام.

من جانب آخر، جاءت الفهارس في الكتاب شحيحة جداً، واقتصرت على جرد الببليوغرافيا وفهرس المواد. لم يدرج الكاتب غيرها، وهي نقيصة لافتة في الكتاب. ويعلل مؤلف الكتاب عدم توسعه في عمله بسبب رحابة الموضوع، وهو ما جعله يختصر المحاور. مع هذا لا يمكن نكران الجهد المبذول في العمل، ولا يمكن إغفال النوايا التي أرادها المؤلف من أجل تقديم نصٍّ ميسرٍ في عرض الفكر العربي؛ بيد أن المنجز لا يرتقي حسب تقديرنا ليكون مرجعاً، نظراً للثغرات التي تخللت النص.

الكتاب: الفكر العربي: من البدايات إلى اليوم

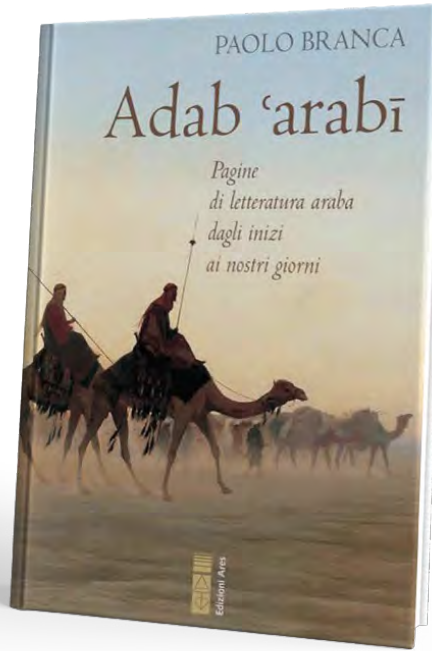
تأليف: باولو برانكا.

الناشر: منشورات «أريس» (ميلانو) بالغة الإيطالية.

سنة النشر: 2022.

عدد الصفحات: 285 صفحة.

* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا



سلسلة من الأعمال ناهزت العشرين عملاً، تأتي على ذكر عناوين منها: «البابا فرنسيس والحوار المسيحي الإسلامي» (٢٠٢١)؛ «القرآن» (منشورات إيل مولينو، ٢٠٢١)؛ «المسلمون» (منشورات إيل مولينو، ٢٠٠٠)؛ «مقدمة في الإسلام» (منشورات سان باولو، ١٩٩٥)؛ «نحن والإسلام.. من الضيافة إلى الحوار» (منشورات إي. أم. بي، ٢٠١٠). وصدر له كتاب حول الأمثال العربية بالاشتراك مع أنجيلو فيلا بعنوان: «الحياة مثل الخيار.. رحلة في الفكاكة العربية» (منشورات إي بيس، ٢٠٢٠).

الرجل ملّم بالعربية بشكل تعليمي (النحو العربي الذي يدرسه في الدرس الجامعي يعتمد في تدريسه على الإيطالية كسائر الجامعيين الإيطاليين الآخرين)، فعلاوة على دراسته الأكاديمية التي تلقاها في إيطاليا، سبق له أن أقام طويلاً في البلاد العربية خصوصاً في لبنان، وهو ما يسر له الإلمام المقبول بالعربية والثقافة العربية، غير أن عربيته في المحادثة تبقى متأثرة بالدارجة، وهو غير مقتدر على إلقاء محاضرة أو كتابة نص بالعربية.

في كتابه الذي نعرضه لم يعتمد الكاتب بما فيه الكفاية المراجع والمصادر العربية، واقتصر على ما هو مدون بالإيطالية وعلى ما هو مترجم إلى اللسان الإيطالي؛ فقد جاءت المؤلفات العربية قليلة في كتابه لا تتجاوز الخمسة أعمال، في ببليوغرافيا لم تتجاوز الستين مرجعاً. صحيح أورد الكاتب العديد من النصوص، ولكنها وردت مترجمة ومستمدّة من نصوص كتاب ومترجمين آخرين. مع هذا، الكاتب على إلمام موسّع بالثقافة العربية، وعلى دراية بالأبعاد التاريخية والسوسيولوجية للمجتمعات العربية، لكن ما يميزه المنحى اليميني في النظر للظواهر وفي معالجة

على الأعمال المؤلفة باللغة الإيطالية حاسماً في المجال. فما نجده بشكل عام هو دراسات وأبحاث مخصصة لكتاب أو كتابات عرب، في حين ما تفتقر له الساحة بحق هو الدراسات الشاملة والعامّة التي تستهدف تقديم عروض موسعة للفكر العربي. ومن هذا الجانب تبدو هذه المبادرة الجامعة لباولو برانكا ذات نفع وجدوى، خصوصاً وأن الكتاب لا ينحصر بمنطقة معينة أو بفترة محدّدة، وإنما يسعى إلى عرض شامل في المجال يوفر نظرة بانورامية.

كان المنهج المعتمد باستحضار نصوص معرفية تعود إلى فترات محدّدة، وإرفاقها بتحليل ونقد موفقاً إلى حد ما في إلقاء الضوء على شخصيات وأساليب كتابية راجت في الثقافة العربية. وإن جاء الجانب التحليلي مختصراً أحياناً ولا يفي بالغرض، فقد استطاع المؤلف تقديم إشارات وتنبهات على قضايا متنوعة.

يُعتبر باولو برانكا (من مواليد ١٩٥٧ بمدينة ميلانو) من الوجوه الثقافية البارزة في إيطاليا، من حيث الاشتغال على الثقافة العربية واللغة العربية؛ فمنذ انضمامه كباحث في الدراسات العربية إلى الجامعة الكاثوليكية «القلب المقدس» في ميلانو، وإلى حين ترقيته في المنصب حتى غدا رئيس قسم الدراسات العربية في الجامعة، انشغل باولو برانكا بحقلين أساسيين: الدراسات الإسلامية والدراسات الفكرية. وهو في الوقت الحالي أستاذ اللغة العربية والإسلاميات في الجامعة المذكورة. بات الرجل مرجعاً في الشأن في الأوساط الأكاديمية والإعلامية في إيطاليا، لا سيما فيما يتعلق بالإسلام في إيطاليا وبقضايا المهاجرين المسلمين، ناهيك عن متابعته موضوع الحوار بوجهيه الديني والحضاري مع العالم الإسلامي. في البدايات الأولى، تمحور اهتمام برانكا حول الدراسات الدينية ذات الطابع السياسي، ثم انعطفت في مرحلة لاحقة نحو الدراسات الأدبية، وقد أنجز في الشأن جملة من الأبحاث والمؤلفات المرجعية في الثقافة الإيطالية، ونظراً لقرب الرجل من الأوساط الكنسية الكاثوليكية في إيطاليا، بات مرجعاً في المجال. غدا الرجل مستشاراً لدى عديد من المؤسسات الرسمية والدينية في مسألة التقارب مع العالم الإسلامي وحوار الحضارات والأديان والتعامل مع المهاجرين المسلمين.

منذ سنوات تدور انشغالات باولو برانكا البحثية والكتابية بالأساس حول تحليل الظاهرة الإسلامية في الغرب، من زوايا ثقافية ودينية واتصالها بموضوع الهجرة. وهو لا يخفي توجهاته اليمينية والكنسية الواضحة في النظر إلى «الإسلام المهاجر»، إذ غالباً ما تميز الرجل برؤية نقدية واضحة في تدخلاته الإعلامية.

تتعدّد الأعمال المنشورة التي ألفها باولو برانكا، وأخرها عمل «الفكر العربي.. من البدايات إلى اليوم». فقد أنجز



تسريع التاريخ من التنوير إلى الأنثروبوسين كريستوف بوتون

سعيد بوكرامي *

يهدف كتاب أستاذ الفلسفة كريستوف بوتون، إلى توضيح معاني التصنيف التاريخي للتسارع من خلال تمييز أبعاده السياسية والتكنولوجية والتاريخية، لهذا يضع مفاهيم التسريع والتحديث الناتجة عن الابتكار والتقدم موضع الشك متسائلاً: هل هي مناسبة لوصف حدثنا، وهل التسارع ظاهرة تاريخية حقيقية أم تعبير عن «هلوسة جماعية»؟

شرح المعايير التي تكمن وراءها. في هذا المشروع الهام، يستعين الكاتب بنوعين من المصادر. أولاً، نصوص الفلاسفة (ماركس، نيتشه، بنيامين، هيغل)، كتاب مقالات مثل (هنري آدمز)، المؤرخ (ميشليه) والكيميائي وعالم المناخ (بول كروتزن) هؤلاء جميعهم يدعمون طريقة تفكيره في نظرية تسريع التاريخ. ثانياً، يستعين الكاتب بمجموعة من النصوص النظرية النابعة أساساً من الفلسفة والعلوم الاجتماعية التي تحاول أن تضع تصوراً لتسارع التاريخ. يجد القارئ في هذه المجموعة الثانية أطروحات راينهارت كوسليك، هارتموت روزا، فرانسوا هارتوغ، كاثرين لاريير، بيير نورا، إرنست بلوخ، ديبيش تشاكرابارتي، على سبيل المثال لا الحصر ويعتبرون المؤلفين الرئيسيين الذين ناقش الكاتب أفكارهم.

الكتاب منظم في ثلاث فترات زمنية مميزة. يبحث الفصلان الأول والثاني في كيفية ترسيخ تسارع التاريخ في صميم الحداثة. بعد ذلك، ينتقل الفصل الثالث إلى فحص نقدي لـ «ديكتاتورية الحاضر». وأخيراً، تحلل الفصول من الرابع إلى السابع ثلاثة أنظمة تاريخية تتعايش مع النظام الحالي للتاريخية التي تهيم على عصرنا، ويمكن تلخيص مبادئها من خلال التركيز على المدى القصير. وبالتالي، فإن هذه الأنظمة الثلاثة للتاريخية هي طرق بديلة للاستقرار في الزمن التاريخي، مما يبطل أي اختزالية لنظام واحد للتاريخية، مهما كان مهيمناً. هذه الأنظمة الثلاثة للتاريخية هي الانشغال بالماضي، وطوباوية الوقت الحر والأنثروبوسين.

في نهاية تحليله النقدي، يتوصل كريستوف بوتون إلى اقتراح نظري مبتكر، محدثاً قطيعة مع «الوجود الكلي في الحاضر» لفرانسوا هارتوغ و«دوامه التسارع» عند هارتموت روزا. وقبل كل شيء، يؤكد على «تعدد أشكال» الحداثة، «بمعنى تعددية الفترات الزمنية مع إيقاعات سريعة مختلفة إلى حد ما، ومقاييس زمنية مختلفة، ومنعطفات مختلفة بين الماضي والحاضر والمستقبل» (ص ٣٦٥). كريستوف بوتون يستوحي فكرته هنا من برناديت

من خلال الربط الوثيق بين تاريخ المفاهيم والتفكير في الحداثة، يدعو كريستوف بوتون إلى إجراء تقييم نقدي لهذا «التسريع التاريخي». متسائلاً عن المدافعين عنه والدلالات التي يأخذها في مختلف الاستخدامات النظرية والعملية والسياسية وهل نعيش حقاً في عصر التسارع المعمم؟ ثم أخيراً ألا ينبغي علينا بالأحرى تغيير وجهات النظر من خلال الانتباه إلى تجارب أخرى مستقاة من الزمن التاريخي، مثل الاهتمام بالماضي أو بالفكر الطوباوي، الذي يقاوم في العمق هذا الاتجاه الأساسي؟ وفي خضم أجوبته ينتقل بنا الكاتب من الثورات التي يعتبرها قاطرات للتاريخ مع (ماركس) على الخصوص إلى تلك التي تصورها (بنيامين) على أنها مكابح للطوارئ، مروراً بتصوير «الطبقات الزمنية» مع (راينهارت كوسليك)، الذي يزخر بالصور المستخدمة للتفكير في تسارع التاريخ. إنها كلها أدوات مساعدة على الكشف ومن ضمنها مفهوم «تسريع التاريخ». الذي يتخذه الكاتب، موضوعاً للتفكيك النقدي، يعالج من خلاله كريستوف بوتون المتخصص في فلسفة هيغل ونظريات التاريخ، وأستاذ الفلسفة في جامعة بوردو ثلاث مجموعات من الأسئلة. أولاً، الأسئلة الدلالية: ما معنى وما هي الاستخدامات التي نعطيها لهذه الفكرة؟ ثانياً، الأسئلة التجريبية: ما حقيقة تسارع التاريخ وما مدى وعينا به؟ ثالثاً، الأسئلة المعيارية: وفقاً لأي معايير ينتقد تسارع التاريخ وتتم إدانته، ووفقاً لأي معايير يروج له وينظر إليه على أنه حقيقة إيجابية؟ المشكلة التي تعرض عبر الفصول السبعة من الكتاب تتمحور كلياً حول «نظرية التسارع». وحسب كريستوف بوتون، هناك ثلاث افتراضات تشكل هذه النظرية: (١) الحداثة تعني تسريع التاريخ. (٢) هذا الأخير بدوره يعني قطيعة مع الماضي والمستقبل (٣) الحداثة تؤدي إلى «ديكتاتورية الحاضر».

يعتمد كريستوف بوتون منهاجاً سياقياً لتحليل «النظرية النقدية للتاريخ» (ص ٢٣). يتكون هذا المنهج من تحليل الدلالات التاريخية، ثم وضعها في سياقها التاريخي، مع

يتمحور الكتاب حول ثلاثة جوانب: تعريف الحداثة من خلال تسريع التاريخ لصالح الثورتين السياسية والصناعية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ووصف هذا التسارع بأنه قطيعة مع الماضي وانخراط في المستقبل وأخيراً الجمود الذي ينطوي عليه هذا التسارع الذي يكرس ديكتاتورية الحاضر. بعبارة أخرى، كلما ذهبنا بشكل أسرع، قل الوقت المتاح لدينا لتقييم موارد الماضي والنظر في المستقبل على ضوء الحاضر. وبعيداً عن كونها نقداً للتسارع بشكل عام، تستند الدراسة إلى منهج سياقى يميز أنواع التسارع المختلفة بناءً على علم الاجتماع الذي تمثله الباحث (هارتموت روزا) والتحليل الفلسفي والتاريخي مع (ماركس، كوسليك، هارتوغ)، ثم ينتهي هذا التحليل المفاهيمي بمنعطف أكثر ذاتية؛ إذ يتساءل المؤلف عما إذا كانت نهاية اليوتوبيا و«التسارع الكبير» الذي يقودنا إلى عصر جديد حيث يميل الإنسان إلى إعادة العيش في الأرض التي شوهاها بتأثير نشاطه على البيئة، أو «الأنثروبوسين»، تعتبر المقاربات الوحيدة الممكنة لتجربتنا مع الزمن. عندها سيكون هناك قلق جديد من الماضي وشكل جديد من اليوتوبيا التي ستكون اجتماعية وديمقراطية وجماعية بشكل ملموس.

يشبه الكاتب التسارع بقاطرة انطلقت بأقصى سرعة لكنها فقدت سائقها. يتميز تاريخ المجتمعات الغربية، منذ منتصف القرن الثامن عشر، بالتسارع المطرد الذي أصبح خارج نطاق السيطرة. وقد عالج هذه الرؤية للحداثة هارتموت روزا الذي يعتبر الممثل الأكثر شهرة لها، واليوم يتداول بقية المفكرين نظريته وعلى نطاق واسع. في العقود الأخيرة، زادت الآثار المدمرة للنشاط البشري على الكوكب بمعدل مذهل. وبذلك ظهر نوع من القلب للنظام؛ لأن الطبيعة، التي كان يُنظر إليها ذات مرة على أنها مكان للتكاثر والتكرار، أصبحت ذات طابع تاريخي، تنساق بسرعة نحو النهاية، في حين أن التاريخ، باعتباره مكان التغيير ذاته، يبدو بغرابة بطيء الحركة وأحياناً راكداً تماماً.



أما الفصلان الأخيران من الكتاب فقد خصصهما الكاتب لتأثيرات الأنثروبوسين في مجال الأنظمة التاريخية. وتتمثل أحداثها الرئيسية، حسب أطروحة ديبش تشاكرابارتي، في أنها جعلت الانقسام بين تاريخ البشرية وتاريخ الطبيعة يتلاشى ويختفي. ويكمن أيضاً في نظريات القيامة ونهاية العالم التي يسميها «الأخويات المعكوسة» (ص ٣٠١) حيث يُخشى التسارع، ولا سيما «التسارع الكبير» منذ عام ١٩٤٥ والذي يتمثل في عدد كبير من المنحنيات المتزايدة، على عكس الخلاص المأمول في نهاية العالم العقائدي، ونهاية العالم البيئي التي تقدم تصورات كمرادف للكشف والخلاص ولكنها مرفوقة بالانهيار والمعاناة والكارثة. أخيراً، يعدل الأنثروبوسين علاقتنا بالمستقبل. إنه بهذا المعنى درس في التواضع من خلال تذكيرنا بأن مائتي ألف عام من تاريخ الإنسان العاقل هي في غاية الضآلة مقارنة بـ ٤,٥ مليار سنة من تاريخ الأرض. على العكس من ذلك، فإن الأنثروبوسين يوسع «فئة الجدوى من تاريخ الطبيعة»، أي أن الفعل البشري الواعي أصبح حاسماً من أجل مستقبل الطبيعة. ويتضح جلياً من خلال وجهات نظر الهندسة الجيولوجية، التي جسدها على سبيل المثال بول كروتزن وانتقدها المؤلف أيضاً.

باختصار، لا يمكن إنكار مميزات الكتاب: الوضوح الديدانكتيكي، ودقة التحليل المفاهيمي الذي يوضح تصورات معرفية ومعيارية تبدو في غاية الأهمية، كما يبرع الكاتب في الربط بين أعمال ونصوص ومفاهيم منفصلة لمؤرخين سابقين، ليصوغها في مزيج دقيق من المقترحات النظرية القوية دون أن ينسى سبره للفروق الدقيقة وانفتاحه على الأعمال المستقبلية الواعدة، كما يأخذ بعين الاعتبار القضايا السياسية الساخنة الراهنة. يمكن القول إن كتاب «تسريع التاريخ من التنوير إلى الأنثروبوسين» يتوفر على الكثير من الأسباب التي تجعل منه علامة فارقة في معالجة قضية التاريخانية خصوصاً في مجال العلوم الاجتماعية.

الكتاب: تسريع التاريخ من التنوير إلى

الأنثروبوسين

المؤلف: كريستوف بوتون

الناشر: دار سوي. باريس. فرنسا.

سنة النشر: 2022

عدد الصفحات: 416 ص

اللغة: الفرنسية

* كاتب ومترجم مغربي



تزامنية الحقائق التاريخية والاجتماعية، إلا أنها تتعلق بمواعيد زمنية مختلفة وليس لها أصول معاصرة، مما يؤدي إلى ظهور اختلافات في الخبرة بين الأجيال، وهذا يؤلف عالمًا مكونًا من عدة طبقات من الزمن. في الفصل الرابع، يحاول كريستوف بوتون تحديدًا إظهار تعدد الصيغ الزمنية للتاريخ» والحديث هنا عن الاهتمام بالماضي الموجود دائماً في نظام التاريخ الحديث. ولتوضيح ذلك يستند الكاتب إلى ثلاثة مؤلفين: نيتشه وماركس وبنيامين. وفقاً لأساليبهم المختلفة، بالنسبة لهؤلاء المفكرين الثلاثة الرئيسيين، يظل التاريخ هو معلم الحياة والفعل ولذلك، وحسب رأي كريستوف بوتون فإن أطروحة الانحلال الحديث للتاريخ التي دافع عنها راينهاردت كوسليك تستحق أن توضح بقوة.

يكرس المؤلف في الفصول الخامس والسادس والسابع معارف وأفكاراً لفهم الأنظمة التاريخية التي تتعايش مع الحاضر في عصرنا الحالي. في الفصل الخامس، يحاول كريستوف بوتون أن يبرز، بناءً على معطى وقت الفراغ، أن «الاهتمام بالمستقبل مكن من مقاومة استبداد الحاضر» (ص ٢٠٥). في هذا السياق ينتقد أطروحة «كسوف اليوتوبيا» لدى (إنزو ترافيرسو) التي يتشاطرها معه هارتموت روزا وأكسل هونيث: كان من الممكن أن يؤدي تسارع التاريخ إلى تفكك واستنفاد «الطاقات الطوباوية» (ص. ٢٠٥). يطور كريستوف بوتون فكرة يوتوبيا وقت الفراغ معتبراً أنها تمثل «شكلاً منشقاً عن النظام التاريخي للتاريخانية الحديثة: لأن مستقبلنا آخر لا يلتزم بالعقيدة الحداثية للتقدم والسرعة» (ص ٢٤٥)، بل يعتبر رد فعل للتسارع التكنولوجي.

بنسوود-فانست، ولكن أيضاً من «الطبقات الزمنية» لرينهاردت كوسليك، وكذلك من نموذج «التزامن غير المعاصر». يسمح الاقتراح النظري لكريستوف بوتون أيضاً بالقطع مع المعادلة بين التسارع ونهاية السياسة، من خلال إعادة فتح الفضاء الزمني للعديد من المحددات الزمانية، وبذلك يقتحم مجال السياسة.

إذا عدنا إلى الفصل الأول، فسندجده يقوم بحفريات عن «تسريع التاريخ» الذي تميز بثلاث مراحل مختلفة. الأول سياسي ويركز على الفترة المحورية التي يسميها راينهاردت كوسليك «ساتيلزيت»، وتبدأ من خمسينيات القرن الثامن عشر إلى خمسينيات القرن التاسع عشر، والتي تتمحور حول الثورة الفرنسية. أما المرحلة الثانية فهي تقنية وتشير إلى الثورة الصناعية والتغيرات التي أحدثتها. أخيراً، المرحلة الثالثة التي سلط عليها الضوء ويطلق عليها بمرحلة الأخويات، وقد روجت مفهوم التسارع التاريخي كتوقع لنهاية الزمان ووسيلة لتحقيق الخلاص.

يفحص الفصل الثاني المعايير المعيارية المستخدمة في القرنين التاسع عشر والعشرين لانتقاد تسارع التاريخ. في القرن التاسع عشر، تبلورت هذه الفئة واندمجت مع فئة التقدم لدرجة أن الاثنين أصبحا لا ينفصلان عن بعضهما. يرسم كريستوف بوتون صورة للانتقادات الموجهة ضد تسارع التاريخ ومنها: فقدان الثقافة، وفقدان السيطرة، وفقدان المعنى، والمخاطر المتزايدة والقصور الذاتي في الحركة الظاهرة، وبذلك يحدد النقاط البارزة في هذه الانتقادات. كما ينتقد المؤلف أطروحة «التسارع الشامل للتغيير الاجتماعي» التي دافع عنها هارتموت روزا. إن الحديث عن تسارع التاريخ يجانب الصواب؛ لأنه تصنيف يجعل من الممكن وصف ديناميكيات معينة للحدثة دون أن تكون عاملاً مستقلاً وفعالاً، ومقابل هذا التجريد، يقترح بوتون اتباع «المنهج السياقي» لفهم تعددية الأزمنة غير الخطية والمتشابهة للفاعلين التاريخيين والاجتماعيين (ص ١١١).

يُعتبر كريستوف بوتون في الفصل الثالث عن الانشغال نفسه، عندما يفحص نظام تاريخانية الحاضر لفرانسوا هارتوغ منتقداً تصوره للتاريخانية، باعتبارها فئة شاملة تضم العديد من الظواهر المتنوعة والمتناقضة بحيث لا يمكن مقاربتها كلياً. لذلك يقترح المؤلف إبراز الفروق الدقيقة لراهنية عصرنا من أجل الأخذ بعين الاعتبار تجارب الأزمنة الأخرى. في هذا السياق يتتبع الكاتب نموذج راينهاردت كوسليك لـ «الطبقات الزمنية» و«التزامن غير المعاصر». وعلى الرغم من أن



قصة العمل: تاريخ جديد للبشرية

جان لوكاسين

علي الرواحي *

لم يتوقف الباحثون والكتاب منذ فترة طويلة عن كتابة سرديات مختلفة تهدف لكتابة جديدة للتاريخ البشري، مرة عن طريق الاستخدام البشري للغة، ومرة عن طريق الاختراعات، وهذه المرة في هذا الكتاب عن طريق تتبع تاريخ العمل وتحولاته في التاريخ البشري من الصيد، وجمع الثمار والمحاصيل، وصولاً إلى العمل عن بُعد كما هو الوضع الحالي، وعمل الإنسان الآلي أو الروبوتات.

إلى حد كبير، من ظهور الإنسان العاقل (الذي، بناءً على الحسابات الجينية، انفصل عن إنسان نياندرتال قبل 700,000 عام) إلى العصر الحجري الحديث أو الثورة الزراعية. ففي البداية، بحسب نقطة الانطلاق هذه، لم يكن هناك أساساً أي تمييز بين محاولات الإنسان والحيوان للبقاء على قيد الحياة، ولكن من خلال تطور الكلام البشري وظهور أشكال جديدة من التواصل، نمت أشكال جديدة من التعاون. حيث كان الفرد يعيش داخل منزل، وشكلت الأسر الكثير من القيود، التي أعاقت الكثير من الأنشطة، لذلك نجد أن الكثير من الأعمال حدثت داخل هذه الوحدات الصغيرة. بالإضافة لذلك، كانت المعاملة بالمثل لفترة طويلة هي القاعدة مع ثورة العصر الحجري الحديث منذ ما يقرب من 12,000 عام. ومع ذلك، فقد عرضت فرص متزايدة للحصول على الطعام وتخزينه، وبالتالي لتقسيم العمل، مما قد يؤدي إلى إثراء أكبر لبعض الأسر، وفي النهاية، إلى التفاوتات بينها. من هنا، نشأت بذرة عدم المساواة، إلى جانب التعاون، كما ظهرت أيضاً في الجانب الآخر التبعية. ومع ذلك، كانت الفروق صغيرة في الفترات الزمنية اللاحقة، التي توضح من خلال المثال الأفريقي أنه لا توجد علاقة سببية بين الثورة الزراعية وعدم المساواة الاجتماعية.

كما ساهم العمل علاوة على ذلك في ظهور المدن، لأول مرة في بلاد ما بين النهرين منذ حوالي 7,000 عام، وذلك في وقت متأخر للغاية من تطور الإنسان العاقل وبعد ذلك بقليل في الصين والهند، أصبح تقسيم العمل بين المناطق الحضرية والريفية وبين سكان المدن سهلاً، ومن الممكن متابعتها، حيث أدى ظهور المدن، والدول منذ 3,000 قبل الميلاد إلى تعزيز هذا الاتجاه. إلى جانب الأفراد والأسر، أصبحت الأنظمة السياسية مع مؤسساتها لا غنى عنها، بدءاً من النظام السياسي (المدنية أو المعبد أو الدولة)، التي جمعت فائض الإنتاج، ثم أعادت توزيعه (عملت على إعادة توزيع الروافد المالية، كما في مصر القديمة وأمريكا ما قبل الكولومبية)، ففي الولايات الأولى، ظهرت أربعة أنواع جديدة من علاقات العمل: العمل بأجر مجاني، والعبودية والعمل الحر (بما في ذلك من قبل المستأجرين)، وأخيراً، رب العمل. من هذه

في حين رأى ماكس فيبر في كتابه «الروح الرأسمالية»، وجود عقلية معينة تركز على تحقيق الربح، وهو شرط ضروري لنجاح اقتصاد السوق. ففي هذه الأيام، يقضي معظم الناس على هذا الكوكب أكثر من نصف ساعات حياتهم في العمل، بما في ذلك التنقل بين مكان العمل والمنزل؛ وحتى في لحظات استراحاتهم المختلفة يقيمون علاقات غير مباشرة بالعمل، بما في ذلك التخطيط للعمل، وعقد الاجتماعات، والتفكير في الترفيات، وانتظار الراتب، وتحديد المشتريات وغيرها من العلاقات العمودية المختلفة، وإذا نظرنا إليها بهذه الطريقة، فإن قصة العمل هي إلى حد كبير تاريخ البشرية. فما هو المقصود بالعمل؟ المشكلة الرئيسية في التعريفات المختلفة التي لا حصر لها للعمل، هي أنها أحادية الجانب بشكل عام؛ حيث يؤكد البعض على جوانب معينة للعمل مع إهمال جوانب أخرى. على سبيل المثال، غالباً ما يتم التفاوض عن عمل المرأة مقارنة بالرجل، والعمل خارج جدران المصنع مقارنة بما يجري داخله، والعمل الفكري الذي يقاس بالعمل اليدوي، والعمل في المنزل يتناقض مع العمل خارجه، وبين العمل المنتج وغير المنتج.

فالعمل يشمل أي جهد بشري يضيف قيمة ومنفعة للسلع والخدمات، وهذا يشمل الكثير من الأعمال كالديكور والمواد الإبداعية والبستنة وتنظيف المنزل وإصلاح الألعاب المكسورة، كل ذلك يتطلب العمل إلى حد أنها تزيد من الرضا الذي يكسبه المستهلك منها، فقبل القرن العشرين، كانت الغالبية العظمى من العاملين في العالم يؤدون الجزء الأكبر من عملهم في أماكن أخرى غير الوظائف ذات الرواتب كما نعرفها اليوم. حتى اليوم، في جميع أنحاء العالم، يتم معظم العمل خارج الوظائف العادية، غير أن التحيز الذي ولدته الرأسمالية الغربية وأسواق العمل الصناعية فيها هو الذي يثبت الجهد المضمّن الذي يتم إنفاقه لدفع المال خارج المنزل باعتباره «عملاً حقيقياً»، مما يحول الجهود الأخرى إلى التسلية والجريمة وغيرها من الأعمال. فعلى مدى الفصول السبعة المنتظمة حسب الترتيب الزمني والموضوعي، يتناول المؤلف في الفصل الأول وهو الأطول

فالعمل أو الشغل كما يُستخدم في الكثير من البلدان العربية، لا يقتصر فقط على الدخل المالي، بالرغم من مركزية وأهمية هذا الجانب، بل كان في مرحلة من مراحلها عاملاً من عوامل الاستقلالية الفردية وبشكل خاص للمرأة وللبعض الطبقات والأعراق التي عانت لفترة طويلة من الكثير من المظالم والاضطهاد، كما كان يُنظر للعمل على أنه المحرك الأساسي في التغيير الناعم للكثير من المجتمعات، وعاملاً من عوامل الإنتاجية التي يقاس بها تقدم الشعوب من عدمها؛ فالعمل بهذا المعنى تتنازع رغبات مختلفة: جمع المال، والوصول للمناصب، والوجاهة الاجتماعية، وتغيير النمط الفكري للمجتمع. لذلك يرى جان لوكاسين بأننا نعمل ليس لأننا مضطرون لذلك، ولكن أيضاً لأننا نحب ذلك؛ فمن أزمته الصيد وجمع الثمار منذ أكثر من آلاف السنين إلى العصر الحالي حتى العمل عن بُعد، عمل البشر دائماً على جعل العالم من حولهم يخدم احتياجاتهم. في هذا الكتاب يقدم لوكاسين تاريخاً شاملاً للعمل البشري على مر العصور وتحولاته المختلفة من المنزل والقبيلة والمدنية والدولة، ويتناول أيضاً كيفية تقسيم العمل بين الرجال والنساء والأطفال؛ وتلك اللحظة الفاصلة لاختراع المال؛ والعمل الجماعي للعمال، وتأثير الهجرة والعبودية وفكرة الترفيه، من الفلاحين في المجتمعات الزراعية الأولى إلى الوجود غير المستقر لعمال الوظائف المؤقتة اليوم. قد لا تكون قصة العمل تتطور بشكل مباشر منذ ذلك الحين وحتى الآن، ولكن هناك منطقتاً داخلياً (وإن كان معقداً) لها، وذلك من خلال الأسماء البارزة في العلوم الاجتماعية. حيث توقع كل من آدم سميث وكارل ماركس وماكس فيبر وجود نوع من المحركات أو الحوافز تدفع لهذه التغييرات في علاقات العمل، بغض النظر عن اختلاف تفكيرهم بشأن هذه المحفزات، وسعتها، ومردودها الاقتصادي؛ فالقاسم المشترك بين هذه الأسماء - كما يرى المؤلف - هو القوة الحاسمة التي ينسبونها للسوق بالمعنى الحديث، وذلك منذ بداياتها في أوروبا الغربية، وخاصة في الجمهورية الهولندية. بالنسبة إلى سميث، كانت تأثيرات هذا السوق خلاقة في نهاية المطاف؛ بينما كانت مدمرة بالنسبة لماركس.



فالشعور بالإنجاز الذي يجلبه يجعله لا غنى عنه لتقديرنا لذاتنا واحترام أقراننا. قد يُنظر إلى تاريخ البشرية على أنه متداخل بين توترين أساسيين: تاريخنا التطوري ووجودنا كصيادين وجامعين للمحاصيل قبل بضعة آلاف من السنين، هو الذي يحدد سعينا الأساسي نحو تعويض عادل لجهودنا، ومع ذلك فإن تقسيم العمل في مجتمعات أكثر تعقيداً يظهر عدم المساواة. كما توضح قصة العمل أيضاً أن الأيديولوجيات القوية التي تدافع عن عدم المساواة قد تكون ناجحة في حالات كثيرة، لكن العولمة تشير إلى اتجاه آخر، على الرغم من المستويات المتدنية من الأجور غير العادلة في القرون الماضية، يبدو أن الجاذبية العالمية للعادلة هي السائدة الآن، الأمر الذي يجعلها موضع التنفيذ دون الخضوع لإغراء اليوتوبيا من أي نوع كانت مهمة صعبة تنتظرنا.

في العقود الأخيرة، أجري الكثير من الأبحاث الجديدة في أماكن وفترات تاريخية مختلفة، جعلت من الممكن صياغة مسار جديد لتطور علاقات العمل. فمن الضروري التمييز بين مسارين مهمين لاقتصاديات السوق: العلاقات المتبادلة، السائدة بين الصيادين وجامعي الثمار ولكنها لا تزال نابضة بالحياة اليوم داخل الأسر في كل مكان، ومجتمعات إعادة توزيع الموارد المالية. علاوة على ذلك، لم تظهر اقتصادات السوق مرة واحدة فقط بل على فترات تاريخية مختلفة وفي أماكن متفاوتة من العالم، وفي كثير من الحالات اختفت أيضاً. لذلك نواجه تغييرات جذرية ذات صلة في علاقات العمل في مواقع مختلفة. ثانياً، نشأ العمل بأجر على نطاق واسع، والعمل بالسخرة، والعمالة الذاتية على فترات تاريخية مختلفة، وغالباً ما تتخذ مسارات متفاوتة. وثالثاً، لا يتوافق مستوى الأجر للعمل المأجور بالضرورة مع الحد الأدنى للأجر المطبق ولكنه يظهر اختلافات وتقلبات قوية في الكثير من العوامل المتغيرة كالوضع المالي وغيرها. أخيراً، يرى الكاتب أن هذه التقلبات في الأجور ليست نتيجة لأهواء من هم في السلطة أو قوى السوق العمياء، ولكنها بسبب الإجراءات الفردية والجماعية التي يقوم بها العمال أنفسهم، حيث تلعب الكثير من الآراء حول المكافأة العادلة للعمل دوراً حاسماً في ترسيخ اللامساواة بين الأفراد.

الكتاب: قصة العمل: تاريخ جديد للبشرية

المؤلف: جان لوكاسين Jan Lucassen

الناشر: مطبوعات جامعة ييل

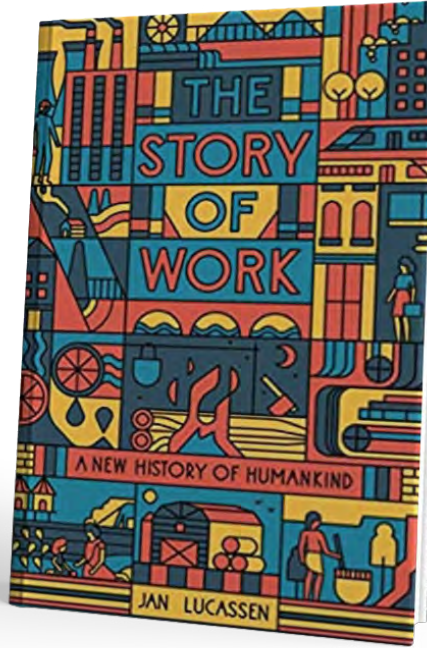
Yale University Press

سنة النشر: 2021

عدد الصفحات: 544.

لغة الكتاب: الإنجليزية.

* كاتب عماني



في علاقات العمل ببطء ولكن بثبات، حيث انخفضت أهمية العمالة المحلية المستقلة وغير المجانية في السوق، وقد بشر ذلك بإلغاء الرق في هايتي، وتجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي، والعبودية في أوروبا الشرقية، وبلغت ذروتها في إنشاء منظمة العمل الدولية، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

في هذا السياق، لا ينبغي النظر إلى التحولات في علاقات العمل، وبالتأكيد التقارب العالمي لعلاقات العمل في القرنين الماضيين، على أنها ظاهرة طبيعية، ولكنها في المقام الأول كنتيجة للاستراتيجيات الفردية والجماعية والإجراءات التي يقوم بها العاملون. وبالتالي، استعاد التعاون والتبعية بعض التوازن. علاوة على ذلك، لم تتقارب علاقات العمل العالمية فحسب، بل أيضاً وبدرجة كبيرة، علاقات العمل بين الرجال والنساء.

ومع ذلك، وكما يعلمنا التاريخ الحديث لأوروبا الغربية وروسيا والصين، بالإضافة إلى الأزمة الاقتصادية العالمية الحالية، فإن هذا ليس تطوراً بسيطاً وغير متقطع، وذلك في نفس الوقت مع تزايد الرخاء العالمي، ولا سيما منذ الحرب العالمية الثانية، الذي من خلاله ازداد عدم المساواة بين العمال. يختم الكتاب بالتأمل في التطورات المستقبلية، ويجعلنا نتساءل ما الذي يمكن أن نخبرنا به الأنماط التاريخية طويلة المدى الكامنة وراء المخاوف الحالية بشأن القضايا الملحة مثل الهجرة والروبوتات والمساواة الاجتماعية حول مستقبل العمل؟ كيف ستظهر حاجتنا الأساسية للعمل في عالم سريع التغيير؟ هل يمكننا اختيار الشكل الذي ستبدو عليه حياتنا العملية بعد ذلك؟

يقترح هذا الكتاب أن هناك إجابات لهذه الأسئلة، فالخبرة الطويلة للبشرية لا تظهر أن العمل ضروري لبقائنا فحسب، حتى في عصر الروبوتات، بل يساهم العمل أكثر من ذلك،

النقطة، يمكن النظر إلى التاريخ البشري على أنه منافسة بين علاقات العمل المختلفة، مع تذبذب العلاقات بين التعاون والتبعية، وهذا بدوره يحدد التصنيف في الفترات اللاحقة.

فقبل حوالي ٥٠٠ عام قبل الميلاد، حدث تجديد في المعاملات البشرية في ثلاثة مواقع في العالم، مع نتائج بعيدة المدى على علاقات العمل القائمة وذلك من خلال ظهور العملات. هذا «الاختراع»، ولا سيما اختراع العملات المعدنية الصغيرة للاستخدام اليومي، سهل توسيع معاملات السوق، وخاصة دفع الأجور وإنفاق هذه الأجور على شراء المنتجات الغذائية والحرفية اليومية من العاملين لحسابهم الخاص. بالنظر إلى أن هذه الأشكال من العمل أصبحت مهمة جداً، إن لم تكن بديهية، فقد تم تخصيص فصل في هذا الكتاب لتلك الأجزاء من العالم حيث تطورت مدفوعات العمل المأجور والأجور النقدية على نطاق واسع. في الواقع، كانوا قادرين على الازدهار في الدول الناجحة على المدى الطويل، حيث كان توحيد الدول على سبيل المثال بنفس أهمية التوسع والغزوات. ويمكن العثور على أمثلة لذلك في أجزاء مختلفة من أوراسيا بين ٥٠٠ قبل الميلاد و١٥٠٠م، والتي تشكل الفترة الرابعة: على وجه الخصوص، التسلسل الفارسي - اليوناني - الروماني - البيزنطي - العربي في غرب أوراسيا، والأمبراطورية الهندية في جنوب آسيا وسلاسل هان وسونغ في الصين، مقارنةً بتكوين الدولة في أماكن أخرى، دون العمل المأجور، وخاصة في أفريقيا والأمريكيتين.

كما نجد أن بعض الدول حققت نجاحاً كبيراً، أيضاً وبشكل خاص على المستوى الاقتصادي، لدرجة أنها توسعت عالمياً فيما يصنفه المؤلف على أنه الفترة الخامسة، أي حوالي ١٥٠٠-١٨٠٠. كان هذا وقت «العولمة» كما يرى المؤلف، بالمعنى الحالي للكلمة، ففي هذه القرون، اتخذت المنافسة بين الكيانات السياسية أشكالاً جديدة بحيث بدأ تنظيم العمل في أجزاء مختلفة من العالم يتباين على نطاق واسع. فمن ضمن الأمثلة الأكثر لفتاً للنظر، نجد التوسع في العمل الحر في أوروبا الغربية بأشكال جديدة من التعاون، وعلى العكس من ذلك، أشكال جديدة من التبعية تحت ستار الضمان في أوروبا الشرقية والعبودية في إفريقيا والأمريكيتين، وأيضاً في جنوب شرق آسيا. وفي الوقت نفسه، في كل من شرق آسيا وأوروبا الغربية، وبشكل مستقل عن بعضهما البعض على ما يبدو، كان هناك تكثيف لعمل أسر الفلاحين مع زيادة في عمل المرأة، أو ما يسمى بالثورة الكادحة.

في حين نجد الفترة السادسة والأخيرة (مقسمة موضوعياً بين الفصولين ٦ و ٧) تبدأ بالثورة الصناعية، حيث أدى تقسيم العمل والمهارات إلى خلق عدد لا يحصى من المهن الجديدة، وبالتالي القضاء على العديد من المهن الأخرى؛ فعمل الروبوتات هو عنوان المرحلة التي نعيشها الآن، وقد أدى هذا أيضاً، وإن كان في فترات متقطعة، إلى تحول كبير



الحروب الأهلية في الهند

أن. كيه. بهوبيش

فيلابوراتو عبد الكبير *

ضمت سبعة عقود منذ أن أصبحت الهند دولة جمهورية، تُعدّ جمهورية الهند التي تبنّت العلمانية والنظام الفيدرالي أحد النماذج المشهورة في العالم للديموقراطية البرلمانية، ولكن يجب عدم نسيان التجارب المريرة التي جعلت الوطن كله في أتون التاريخ.

الأسباب التي كانت وراءها ومشيرا إلى عواقبها. والأغلبية في تلك القضايا كانت مرتبطة بالقضايا الوطنية. ويستثنى منها ثورة «تيلونغانا» التي فشلت في حينها، والعمليات المسلحة المستمرة التي تقوم بها الحركة «الماوية» المحظورة. وجذورها ليست مرتبطة بالوطنية بل مرتبطة بالنظرية الشيوعية. هل استطاعت الحكومات التي حكمت الهند حتى الآن أن تواجه هذه التحديات إيجابياً وأن تسعى لحلّلتها سياسياً؟ هذا هو السؤال المطروح هنا في هذا السياق. الديموقراطية هي القاعدة الأساسية التي بنى عليها دستور الهند. طالما اتخذت الحكومة هذه القاعدة أساساً للتعامل مع العناصر المعادية لها نرى المفاوضات معها مفيدة وناجحة.

خصص المؤلف ثلاثة فصول في الكتاب للكشف عن خلفية قضية كشمير وشرح حالاتها الراهنة. في الفصل الأول يذهب بنا إلى تاريخ كشمير قبل استقلال الهند من الحكم البريطاني. وفي الفصل الثاني يلقي الضوء على التطورات بعد 15 من أغسطس 1947، يعني بعد تقسيم الهند، بينما يُركّز في الفصل الثالث على الحملات العدوانية التي جرت على الأقليات في ولاية كشمير. إن تلك الإجراءات حسب ادعاء الحكومة المركزية كانت تهدف لتوفير الأمن لهؤلاء الأقليات. يفتد الكاتب هذه المزاعم مشيراً إلى ازدياد عدد الهجمات «الإرهابية» على الأقليات الهندوسية بعد عام 2019. إن غياب السياسة الرشيدة من جانب الحكومة المركزية ساعد، حسب قول الكاتب، على تعكير الفضاة الطائفي وتعقيد القضية. إن طائفة «بانديت» والمسلمين في كشمير كانوا يتعايشون بأمن وسلام منذ فترة طويلة. ولثقافة الصوفية راسخة الجذور في تاريخ كشمير دور كبير في هذا التسامح والتعايش السلمي. في

تختلف ثورة «تيلونغانا» الفاشلة عن هذه الأحداث المذكورة أعلاه. كان الحزب الشيوعي هو وراء هذه الثورة المسلحة التي قادها «راناديفيه» أحد القياديين الشيوعيين. ولكن الثورة لم تنجح بسبب خطأ وقع في حسابات القياديين الشيوعيين في «تيلونغانا»، المنطقة التي تنتمي إلى ولاية أندھرا برديش» آنذاك والتي أصبحت ولاية مستقلة مؤخرًا. كانت نتيجة هذه الثورة الرعناء أن يصبح الحزب الشيوعي محظوراً بعد أن تعرّض لإجراءات قمعية من قبل الحكومة. ولم يُرفع الحظر إلا بعد فترة من الزمن. المناطق في شمال شرق الهند مثل «آسم» و«تريبورا» و«ناغالاند» و«بودولاند» كانت نقاطاً ساخنة منذ الاستقلال. الحركات الانفصالية كانت نشطة في هذه المناطق وخاصة بعد الاستقلال. وولاية البنجاب ذات الأغلبية السيخية كانت أيضاً تغلي بمطالبه وطن خاص بالسيخ باسم «خالستان». وفي الجنوب في ولاية «مدراس» (حالياً «تشينائي») الحركة «الدرافيدية» بقيادة «راما سوامي ناير» تحدت الحكومة المركزية بمطالبه وطن باسم «درافيداستان» وهي تقاوم محاولة المنطقة الشمالية للهيمنة على الجنوب بفرض لغتها «الهندية» على الجنوب. كانت هذه صورة الهند عند الاستقلال. قضايا مختلفة سياسية تحدت نظامها الداخلي، منها ما استطاعت الحكومة إيجاد حل لها بالتشاور والمناقشات أو باستئصالها بتاتا باتخاذ إجراءات قمعية. ومنها ما لم تستطع حتى الآن مقاومتها ولا إيجاد حل لها كاملاً.

عن هذه القضايا والحركات التي رفعت رؤوسها متحدياً البنية الأساسية للهند قبل تشكيلها في صورتها الحالية ينطق هذا الكتاب بالتفصيل. يتناولها الكاتب على أنها قضايا سياسية كاشفاً عن

كانت الهند قبل احتلال بريطانيا دويلات ملكية مُبعثرة غير مُتحدة، كان الاستعمار البريطاني هو السبب الرئيسي لاتحاد الهند. ويُعدّ هذا من إسهامات الاستعمار الإيجابية. عندما أعلنت بريطانيا استقلال الهند وانقسمت الهند إلى دولتين، الهند وباكستان، مُنح لكل من الدويلات الملكية السابقة خياراً يمكنها إما أن تنضم إلى إحدى الدولتين أو أن تبقى مُستقلة. كانت في الهند حين ذاك دويلات يحكمها ملوك مسلمون وجمهورها غير المسلمين مثل «جوناغاد» و«حيدرآباد» كما كانت هناك دويلات يحكمها ملوك هندوس وجمهورها مسلمون مثل «كشمير». وكذلك كانت هناك مناطق ما زالت محتلة مثل «ماهي» في كيرالا، التي كانت تحت حكم فرنسا، و«جوافا» و«دييو» و«دامن» التي كانت تحت حكم البرتغال. والأكثر من هذه الدويلات انضمت إلى الهند المتحدة. وكان لجهود «باتيل» وزير الداخلية آن ذاك كما لجهود في. بي. «مينون» سكرتير الحكومة الهندية دور مذكور في هذه المهمة. لما أبى حاكم حيدرآباد الاتحاد مع الهند قامت الحكومة الهندية بإجراءات عسكرية ضد تلك الدويلة واستولت عليها عنوة، وكان ذلك بُعيد الاستقلال. تحررت «ماهي» من فرنسا نتيجة ثورة سلمية شعبية بينما تحررت «جوافا» و«دييو» و«دامن» من قبضة البرتغال بتدخل عسكري من الهند. أما كشمير فملكها «هاري سينغ» اختار أولاً أن تبقى مملكته مستقلة، ولكن عندما تغلغل مسلحون إلى كشمير بتأييد من باكستان استعان بالهند، فانتهزت الهند هذه الفرصة وطلبت من الملك ضم ملكه إليها، فلم تكن أمامه أية طريقة إلا أن يُذعن لمطالبها. ولكن باكستان رفضت هذا الإجراء وجعلت كشمير قضية متنازعة كما رفعتها فيما بعد في جلسات الأمم المتحدة.



الاستقرار فيها، وقد أدى هذا الوضع بعد فترة إلى الصراع الإثني بين الآسميين الأصليين وأبناء البنغاليين الوافدين. هؤلاء الوافدون من البنغال كان أكثرهم من المسلمين، ومما زاد الطين بلة سيل المهاجرين من بنجلاديش حين تشكلت، الأمر الذي أعطى للقضية بعدا طائفيا. الإبادة الجماعية في «نيلي» وقانون تسجيل الجنسية المتنازع فيه وبناء سجون الإبعاد كلها كانت نتيجة هذه الحالة. والذين أصبحوا فريسة لهذه القوانين الجائرة هم المسلمون.

نزعة التمرد في ناغالاند ومانيبور وتريبورا لها تاريخ يمتد إلى فترة الاستقلال. كان تمردا يقوده عدد من الفصائل المسلحة. بعض الفصائل كانت تنشط بهدف تأسيس دولة مستقلة بينما يسعى الآخرون لإنشاء حكم ذاتي. أكثر القاطنين في هذه المناطق تعرضوا للتنصير أيام الاستعمار ولكن استمروا متمسكين بتقاليدهم القبائلية وعاداتهم القديمة. ادعوا أن ثقافتهم غير الثقافة الشائعة في أنحاء أخرى في الهند. خلافاً لما حدث في كشمير، اختارت الحكومة طريقة المفاوضات مع هذه الفصائل المسلحة وأعطت لهذه المناطق حكما ذاتيا ووضعية خاصة دستورية وجعلتها ولايات منفصلة عن ولاية آسم حسب المعاهدة التي تمت بين الفصائل المسلحة والحكومة الهندية. ذبح البقرة ليس ممنوعا في هذه المناطق كما أن قانون أحوالهم الشخصية أيضا محفوظ دستوريا. إن «فيزو» قائد طائفة ناغا المتمردة كان لاجئا في بريطانيا فترة طويلة، ولم يحالفه الحظ في أن يتنفس هواء الاستقلال الذاتي الممنوح لـ «ناغا لاند»، لأنه حين عاد من لندن إلى بلده الأم وقت استقلاله الذاتي عاد ميتا، إلا أن شعبه استقبل جسده بحفاوة وكرم. يشرح المؤلف هذه المستجدات في أربعة فصول منفصلة.

الكتاب: الحروب الأهلية في الهند

المؤلف: أن. كيه. بهوبيش

اللغة: مالايالام

سنة النشر: 2022

الناشر: DC Books، كوتايام

* مستعرب هندي



ضحمين الذي ألفه القانوني الشهير آيه. جي. عبد الجليل) النوراني.

وفي الفصول التالية يتناول الكاتب القضايا الشائكة في مناطق شمال شرق الهند شاملة آسم ومانيبور وميسورام وناغالاند وتريبورا. ولو أن بريطانيا صرحت في البداية أنها لا تريد السيطرة على هذه المناطق ولا حكمها ولكن استولت عليها فيما بعد. منذ أن انتهى نفوذ سلطنة «أهوم» في عام 1838 أصبحت هذه المناطق كلها مستعمرات بريطانية لغاية 1947. وقد خصص المؤلف لـ آسم فصلين، فصلا يختص بعهد الاضطرابات والثاني بعد تطبيق قانون تسجيل الجنسية بثبوت الولادة في آسم خلال فترة معينة. كانت آسم جزءا من ولاية بنغال حتى عام 1874. وبعد ذلك أصبحت ولاية مستقلة. وفي القرن التاسع عشر عندما أنشأ البريطانيون حدائق الشاي في آسم توجه كثير من العمال إليها من أنحاء الهند المختلفة. عند استقلال الهند لم تكن هناك إلا آسم وتريبورا ومانيبور في هذه المنطقة. انفصلت «ناغالاند» من آسم عام 1963 كما انفصلت «ميغھالايا» عام 1972 وميسورام عام 1975 حتى أصبح كل واحدة منها ولاية مستقلة. الوطنية المبنية على العنصرية والمرتبطة بالهجرة هي كانت أصل مشكلة آسم. وبما أن آسم كان جزءا من البنغال كان كثير من البنغاليين قد اختاروا

الحقيقة إن الاستقطاب الطائفي بين الهندوس والمسلمين في جامو وكشمير كان نتيجة مداخلات «جاغ موهان» الحاكم الذي عينته في كشمير حكومة بي جيه بي برئاسة «باجباي». حفّزهم «جاغموهان» بوعود جذابة لترك مساكنهم ولكنه لم يوف بشيء منها. هو نفسه كان وراء هدم مساكن المسلمين في دلهي القديم أيام الطوارئ في عهد إنديرا غاندي. والفيلم «ملفات كشمير» الذي صدر حديثا بدعم كبير من الحكومة والذي أسترخص في مهرجان جوجا الدولي للأفلام في الشهر الماضي يتناول هجرة الهندوس من كشمير في التسعينات. وقصة الفيلم خيالية وبعيدة عن الحقيقة تدور حول طالب جامعي اكتشف أن والديه من هندوس كشمير قد قُتلا على أيدي «متشددين إسلاميين» وليس في حادث كما أخبره جدّه. وقد أثار الفيلم جدلا كبيرا في أوساط النقاد والفنانين حيث وصفوه بأنه «استغلالي»، فيما رفض مودي هذه الانتقادات ووصفها مؤامرة لتشويه سمعة الفيلم. ويجدرُ الذكر بأن محكمة منعه من تضمين مَشاهد تُصوّر قائد سرب سلاح الجو ووفاته، بعدما رفعت زوجة القائد دعوى قائلة إن التفاصيل غير صحيحة من الناحية الواقعية وإنها في الحقيقة إهانة لشرف الراحل. وكانت انتقادات المخرج الإسرائيلي ناداف لايبيد، الذي ترأس لجنة التحكيم لمهرجان الفيلم الدولي الهندي في جوجا في الشهر الماضي صفة للمدافعين عن الفيلم حيث غدا عرض الفيلم محل الخلاف في المسابقة الرسمية. قال ناداف: انزعجنا جميعاً وانتابتنا صدمة من فيلم «ملفات كشمير»، فقد شعرنا بأنه دعائي، مُبتذل، ولا يليق بالمسابقة الرسمية في مثل هذا المهرجان المرموق». ورغم أن السفير الإسرائيلي ناؤور جيلون أبدى اعتذاره عن انتقادات ناداف إلا أن الأخير لم يتزحزح عن موقفه. كتاب «بهوبيش» ذكّرني بمقالة مسلسلة نشرتها مجلة «يهودان تحريك» (حركة يهودان) حول قضية كشمير عام 1965 حين اندلعت الحرب بين الهند وباكستان. كانت تلك المجلة يديرها «الغانديون». ومن الكتب المفيدة جدا لفهم قضية كشمير كتاب «نزاع كشمير» (Kashmir Dispute) بمجلدين



أمريكا وإيران: تاريخ في العلاقات من 1720 إلى الآن جون غازفينيان

محمد السماك *

في الوقت الذي تتركز الدراسات والأبحاث الحالية حول أسباب ونتائج التوترات المتواصلة في العلاقات الأميركية - الإيرانية، صدر هذا الكتاب ليلقي الضوء على المرحلة التأسيسية لهذه العلاقات. يؤكد الكاتب، وهو باحث أكاديمي أمريكي من أصل إيراني، على المراحل التأسيسية لهذه العلاقات فيصفها بأنها كانت علاقات ثقة ومصالح مشتركة.

هذا الوزير، اصطف الإيرانيون في الشوارع لوداعه وهم يلوحون بالأعلام الأميركية.

ويقول المؤلف - وهو نفسه من أصول إيرانية- إن السياسيين الأميركيين لم يكونوا مهتمين بإيران، غير أن البعثات التبشيرية الإنجيلية كانت تجد فيها حقلاً خصباً لنشر دعواتها. وكانت زيارة إيران من الأميركيين تكاد تقتصر على هذه المجموعة من الناس.

بعد الحرب العالمية الأولى وبعد اكتشاف النفط الإيراني، تغير الوضع وتوجهت الولايات المتحدة إلى إيران تحت عباءة المبادئ التي أعلنتها في فرساي الرئيس الأميركي ودرو ويلسون حول حق الشعوب في تقرير المصير. ولكن حتى في ذلك الوقت لم تكن الولايات المتحدة ترى فائدة من الاصطدام ببريطانيا من أجل إيران.

تغير الموقف الأميركي عندما برزت أنياب الشيوعية في دولة بدأت تنتج النفط. حدث ذلك بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة عندما بادر الرئيس الأميركي الجنرال داويت إيزنهاور إلى اعتبار الشأن الإيراني الداخلي شأنًا أميركيًا. وهكذا في عام 1953 تحالفت الولايات المتحدة مع بريطانيا لإسقاط الحكومة الوطنية التي كان يترأسها محمد مصدق (وكان رئيساً منتخباً من الشعب)، وفرضت سياسة نفطية جديدة

الخميني إلى السلطة والتخلي عن الشاه محمد رضا بهلوي.

هذه المسيرة في التحولات والتغيرات، تغطي عقوداً عديدة حفلت بالأحداث التاريخية، حاول المؤلف الإحاطة بها. ولذلك يقع الكتاب في حوالي 700 صفحة.

ويستند إلى وثائق رسمية حصل عليها من الإدارة الأميركية «بعد مرور الوقت عليها». وخاصة تلك التي تتعلق بالتدخل الأميركي من وراء ظهر بريطانيا، بل حتى على حسابها. والتغيرات التي أسفرت عن حلول الولايات المتحدة محل بريطانيا في الهيمنة على إيران والتي ألقّت بظلالها أيضاً على منطقة الخليج، وتلك قصة أخرى تجنّب المؤلف التطرّق إليها.

يقول المؤلف إنه عندما كانت الولايات المتحدة بمثابة «رئيس الملائكة» بالنسبة لإيران، كانت طهران تستقوي بها ضد المطامع الأجنبية، وخاصة السوفياتية والبريطانية. ويقول إنه في عام 1854 طلب الشاه رفع العلم الأميركي على السفن التجارية الإيرانية احتفاءً بالولايات المتحدة. وعشية الحرب العالمية الأولى، أقرّ البرلمان الإيراني تعيين محام أميركي يدعى مورغان شوستر وزيراً للمالية. ولكن عندما سيطر «الكوزاك» على السلطة في طهران وطردها

في المرحلة الأولى لم تكن الولايات المتحدة مهتمة بإيران. كانت إيران تحت الهيمنة البريطانية من جهة، وتحت التهديد السوفياتي من جهة ثانية. في تلك المرحلة، كما يقول المؤلف جون غازفينيان، كانت إيران ضعيفة. وكان التنافس السوفياتي - البريطاني عليها شديداً.

وفي تلك المرحلة أيضاً، لم تكن الولايات المتحدة ترى أي مصلحة في منافسة بريطانيا أو الاصطدام معها حول إيران، إلا أن إيران كانت تنظر إلى واشنطن على أنها القوة القادرة على تخليصها من بين براثن الهيمنة البريطانية من جهة، ومن التطلعات التوسعية السوفياتية من جهة ثانية.

من هنا يطرح الكتاب سؤالين ويحاول الإجابة عليهما بموضوعية أكاديمية: السؤال الأول هو: كيف تحوّلت الولايات المتحدة في نظر إيران من ملاك إلى شيطان. بل إلى الشيطان الأكبر؟

والسؤال الثاني هو: كيف انتقلت إيران من حليف يسعى وراء دعم الولايات المتحدة سياسياً وعسكرياً، إلى خصم، بل إلى عدو لدود؟

يجيب الكتاب على السؤالين معاً من خلال عرض وقائع التحولات التي شهدتها العلاقات بين واشنطن وطهران وأسبابها وخلفياتها. من إسقاط حكومة محمد مصدق إلى وصول الإمام



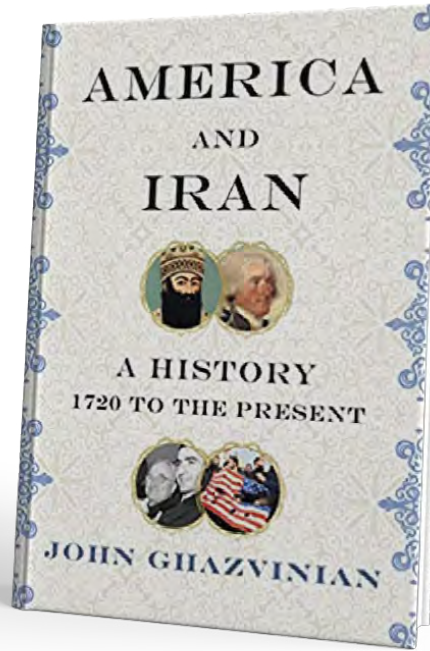
بصفة مراقب؛ فكان ردّ الفعل الإيراني إنشاء منظمات حليفة لها وإقامة تحالفات خاصة بها؛ فكانت «حماس»، وحزب الله، والجهاد الإسلامي». مع ذلك، جرت في عهد الرئيس محمد خاتمي محاولة إيرانية لإصلاح ذات البين مع الولايات المتحدة تمثّلت في تنديد الرئيس خاتمي بجريمة ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في نيويورك. كما تمثّلت في دعوته في خطاب ألقاه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى حوار حضارات. وذهب خاتمي عملياً إلى أبعد من ذلك، عندما سمح للطائرات الحربية الأميركية باستخدام المجال الجوي الإيراني أثناء عملياتها في أفغانستان، غير أن الرئيس الأميركي جورج بوش (الابن) أدرج إيران على لائحة «محور الشيطان»؛ فردّت يومها إيران باعتبار الولايات المتحدة «الشيطان الأكبر».

يقول المؤلف إن الرئيس باراك أوباما قدّم العراق جزرة لاستعادة إيران إلى بيت الطاعة الأميركي، ولكن محاولته باءت بالفشل؛ إذ إن إيران تلقّضت الجزرة من دون أن تعيد النظر في ثوابتها السياسية - العقدية، فحاول من بعده الرئيس دونالد ترامب أن يهدّدها بعصا العقوبات والانسحاب من الاتفاق النووي، ولكن محاولته لم تكن أحسن حالاً .

يقف المؤلف هنا ليكتب الرئيس الأميركي الجديد جو بايدن الفصل الجديد في هذه المسيرة الطويلة من صعود وهبوط العلاقات بين إيران والولايات المتحدة .

الكتاب: أمريكا وإيران: تاريخ في العلاقات من 1720 إلى الآن
المؤلف: جون غازفينيان
الناشر: كنبوف (26 يناير 2021)
اللغة: الإنجليزية
غلاف مقوى: 688 صفحة

* مفكر لبناني متخصص في دراسات العلوم والسياسة والفكر الإسلامي



التي بدأت تتحرر من الاحتلال السوفياتي؛ فكان دعم الغرب للإسلاميين هنا في (إيران) وهناك في (أفغانستان).

من أجل ذلك عندما نشبت الحرب بين العراق وإيران (والتي أدت إلى سقوط مليون ضحية من الجانبين)، اتفقت الولايات المتحدة مع النظام الجديد في إيران على توريد الأسلحة والذخيرة التي يحتاج إليها من إسرائيل. وقد استمر ذلك طوال سنوات الحرب العشرة والتي استنزفت الدولتين بشراً وحجراً، وأدّت إلى مقتل حوالي المليون إنسان من العراقيين والإيرانيين.

أما كيف تحوّلت الولايات المتحدة إلى «الشيطان الأكبر»، وكيف تحوّلت إسرائيل إلى العدو الأول، فإن مؤلف الكتاب يروي القصة التالية :

أعلن الرئيس الأسبق هاشمي رفسنجاني مبدأً عاماً يقول إن إيران سوف تقبل أي تسوية يوافق عليها الفلسطينيون. وكان هذا الإعلان يفتح الطريق أمام اعتراف إيران بإسرائيل على خلفية التسوية المقبولة فلسطينياً. ولكن الردّ الأميركي على هذا الموقف كان ردّاً إهمالياً. وثبت فيما بعد أنه كان قصير النظر. فقد دعت الولايات المتحدة (تحت مظلة الأمم المتحدة) إلى مؤتمر مدريد في عام ١٩٩١، وتعمّدت عدم دعوة إيران إليه حتى

على إيران . وبموجب تلك السياسة أُلغِيَ قرار تأميم شركة النفط البريطانية الذي كانت اتخذته حكومة مصدق. وردّاً على تلك المبادرة «منح» الشاه محمد رضا بهلوي شركات النفط الأميركية حصة في النفط الإيراني بلغت ٤٠ بالمئة.

ومنذ ذلك الوقت، بدأت الولايات المتحدة تحلّ محلّ بريطانيا كدولة مهيمنة على إيران ومسيطرة عليها؛ وحوّلت الشاه منذ ذلك الوقت إلى «دمية» تنفذ قرارات واشنطن، حتى أصبح السفير الأميركي في طهران، الحاكم الفعلي غير المعلن !!..

وبموجب معادلة الوضع الجديد، حصر الشاه برامج تسلّح إيران بالولايات المتحدة وبريطانيا، وتبوأ رأس قائمة الدول المستوردة للسلاح الأميركي والبريطاني . ويقول مؤلف الكتاب إن الشاه امتلك في ترسانته العسكرية من دبابات «تشيطن» البريطانية أكثر مما كانت تملكه القوات البريطانية نفسها.

وعندما قررت الدول العربية فرض حظر النفط ردّاً على العدوان الإسرائيلي في عام ١٩٧٣، بادر الشاه إلى زيادة الإنتاج لتلبية حاجات إسرائيل حتى أصبح النفط الإيراني وحده يغطي نصف حاجة إسرائيل الاستهلاكية.

ويذكر المؤلف أن جهاز المخابرات الأميركي (سي. آي. إيه) وجهاز المخابرات الإسرائيلي (موساد) تعاونوا على مساعدة الشاه لإنشاء جهاز المخابرات الإيراني (سافاك).

في عام ١٩٧٩ عندما وقعت الثورة في إيران ضد الشاه، خاف الغرب (الولايات المتحدة وبريطانيا وأوروبا) من أن يكون البديل هو عودة اليسار الذي كان أبعد في أيام محمد مصدق مما يشكل خطراً على مصالحه النفطية. وساد الاعتقاد وقتها بأن الإسلاميين الذين هم أعداء طبيعيون لليسار الشيوعي يمكن أن يشكلوا البديل الأفضل، ليس في إيران وحدها، ولكن أيضاً في جارتها أفغانستان



الثقافة كقوة ناعمة: تجسير العلاقات الثقافية والتعاون الفكري والدبلوماسية الثقافية

إليزابيت كاربو كاتالان وديانا رويج سانز

حامد عبد الرحيم عيد *

بعد أن باتت السياسة وقضاياها الشائكة مركزاً للصراع الدولي حول المصالح، ومع تحول الفضاء الإعلامي بشقيه الموجه أو ذاك الذي تسوده الفوضى على مواقع التواصل الاجتماعي، إلى مرادفٍ لأحقاد السياسة وخلافاتها، يبدو أنّ الثقافة أصبحت البوابة الوحيدة التي تؤمّن مروراً آمناً للحوار بين الشعوب والدول وتخطّي حواجز التباينات السياسية والاقتصادية ومخلفات صراع الحضارات؛ فلا تزال الثقافة حتى اليوم ترسم ملامح المجتمعات وتحدد مساراتها، وإن كان يتم التعامل معها كنشاط هامشي، بغير إدراك لأبعاد العامل الثقافي ودور الثقافة الحاسم في صنع التحولات، ورسم الحدود الجيوسياسية.

بين الرمزية والمادية، والوظائف الاجتماعية للثقافة، وإعادة إنتاج علاقات القوة، فقد ساهم عمله في إعادة التفكير في المفاصل بين السلطة في السياسة ليس فقط في العلوم الاجتماعية ولكن أيضاً في التخصصات ذات التوجه الاجتماعي في العلوم الإنسانية، مثل علم اجتماع الأدب والترجمة؛ وفي موازاة ذلك، أعاد التحول الثقافى في العلاقات الدولية والعلوم السياسية تأكيد دور الثقافة في هذه المجالات. ومن الضروري الاعتراف بأن مصطلح «الثقافة» استخدم في كثير من الأحيان في مجالات العلاقات الدولية والعلوم السياسية بمعنى واسع وفضفاض إلى حد ما. حيث شملت الموضوعات التي تم تناولها دور المعتقدات والتمثيلات والعقليات الجماعية في السياسة، فضلاً عن تحليل الممارسات والأشياء والمنتجات التي تجسدها، من مسابقات الجمال أو الرياضة إلى السلع الرمزية، وكذلك المشاعر في السياسة أو في المنظمات السياسية. وكانت التبادلات الثقافية والدبلوماسية الثقافية موضع اهتمام متزايد وشهدت ظهور مجال جديد، «مجال العلاقات الثقافية الدولية». في هذا الصدد، نجادل بأن الموضوعات التي تغطيها العلاقات الثقافية الدولية تتداخل جزئياً مع تلك التي يغطيها بعض الباحثين في العلوم الإنسانية الذين يعملون إما في الدراسات الأدبية والترجمة أو في التاريخ الثقافى والعالمي. فالترولوج الثقافى والإسقاط الثقافى والثقافة بشكل عام هي مصادر للموارد غير المموسة للسلطة. وبالمثل، يظهرون اهتماماً مشتركاً بجهات فاعلة محددة على مفترق طرق المجالات السياسية والثقافية، مثل الكاتب الدبلوماسي، والذي يُطلق عليه أيضاً الدبلوماسي الفكري، والذي يمكن فهمه أيضاً على أنه وسيط ثقافى. على نفس المنوال، فإن الأشياء التي يتعامل معها مؤرخو العلاقات الدولية تقليدياً، مثل الدبلوماسية الثقافية والتعاون الفكري، قد جذبت الاهتمام ويتم التعامل معها من منظور ثقافى محدد. وهكذا، من نظرة متعددة التخصصات، يظهر مشهد بحثي جديد، ويتم الآن فحص الأنشطة التقليدية المتعلقة بالعالم الأدبي والثقافى مثل الجوائز الأكاديمية، والمهرجانات الأدبية، ومعارض الكتب، والمجلات الأدبية، أو الجمعيات الأدبية باعتبارها تشارك نفس الأدوار والأغراض. بينما تسعى هذه الآليات بالضرورة إلى تحقيق أهداف مستقلة (تتعلق تحديداً بتطوير المجال الأدبي أو الثقافى أو إنشاء قيمة رمزية)، تؤكد مساهمتنا على الطرق التي استخدم بها رسامو الرسوم المتحركة مثل هذه الآليات للوصول إلى أهداف غير

أي شيء آخر عبر تاريخ البشرية، ولم تكن أبداً منفصلة يوماً ما عن كل ما يجري على كوكبنا منذ الأزل، حيث تشكلت المجتمعات داخل أطر ثقافية، قبل أن تتحول إلى تجمعات بشرية فعّدت الاتفاقات ونشبت الحروب. واليوم لا تزال الثقافة ترسم ملامح المجتمعات وتحدد مساراتها، وإن كان الكثير من راسمي السياسات العرب على وجه التحديد يتعاملون معها كمعطى هامشي، غير مدركين لأبعاد العامل الثقافى ودور الثقافة الحاسم في صنع التحولات، ورسم الحدود الجيوسياسية.

الكتاب:

أما عن كتاب اليوم فيتضمن ستة عشر فصلاً قام بها متخصصون ومهتمون بالشأن السياسي الدولي ممن يشار إليهم بالعلم والثقافة، وتراوحت تلك الدراسات بعيد من وجهات النظر لمؤلفيها وكتابها. وكانت البداية بالتقديم المهم الذي قدمته محررتا الكتاب إليزابيت كاربو كاتالان وديانا رويج سانز تحت عنوان «التأرجح بين الثقافة والسياسة: وجهات نظر متعددة التخصصات»، ألقنا فيه الضوء على تشكل العلاقات بين الثقافة والسياسة، وبشكل أدق، الاستخدامات السياسية للثقافة، كموضوع واسع تم تناوله في مجموعة متنوعة من التخصصات في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية والسياسية. ففي العلوم الإنسانية، يمكن معالجة القضية من مستويات مختلفة، مع الأخذ في الاعتبار الاستخدامات المحلية للثقافة وأغراضها الخارجية. من ناحية أخرى، ومن منظور وطني يتعلق بالموضوعات المحلية، قد تشمل الموضوعات ذات الصلة دور الثقافة في بناء جماعة معينة والمشاركة السياسية للفاعلين الثقافيين، والسياسات الثقافية، وأي الطرق التي يتم بها تنظيم الثقافات الوطنية وتعزيزها من قبل الحكومات والجهات الفاعلة العامة الأخرى. ومن ناحية ثالثة، فمن المنظور الدولي أو عبر الوطني، تناولت التخصصات التي تعمل مع الاتصال الثقافى أو التبادل أو النقل أيضاً الاستخدامات السياسية للثقافة. على سبيل المثال، يمكننا أن نجد الكثير من الأدبيات التي تناقش علاقات القوة والأبعاد السياسية للترجمة وتأثيرها على تشكيل الجماعات والمشاركة السياسية للمتترجمين ومجال الترجمة المتنامي سياسة. وفي مجال العلوم الاجتماعية، كانت العلاقة بين السياسة والثقافة موضوعاً للكتابة المكثفة أيضاً. من بين النظريات المختلفة الناشئة في مجال علم الاجتماع، يقدم بيير بورديو (1979، 1999) مفاهيم ورؤى مثمرة لمعالجة العلاقات

الثقافة في عالم السياسة مهمة؛ إذ لا تقرر نتيجة صراع عسكري، فقد فشلت حملة نابليون بونابرت إلى مصر عام 1798 ولكنها نجحت في فتح أبواب مصر وفكر أبنائها على ما يجري حولها من تطور، واستطاع علماءها أن يكتبوا واحداً من أهم كتب الثقافة عن مصر «كتاب وصف مصر» الذي وصف كامل التراب المصري بواسطة الرسامين الفرنسيين فكان بحق وصفاً كاملاً استغرق ثلاث سنوات هي عمر الحملة الفرنسية إلى مصر. واليوم فقد ارتجف العالم كله قبل القصف الروسي المرعب على كييف وخركييف، فوسائل الإعلام والسياسيون وجزء كبير من المجتمعات الأوروبية قد اعترفوا بالقيم الأوروبية لأوكرانيا.

وقليلة هي الدول التي تدرك أهمية الثقافة والدبلوماسية العابرة للحوارج الجيوسياسية والنفسية والاختلافات الأيديولوجية والدينية، والتي تمزج في سياستها بين دعم التنوع الثقافى وتعزيز ثقافة التسامح، بشقيه الفكري والديني. وهنا يمثل معرض القاهرة الدولي للكتاب على مدى نسخته الماضية والقادمة وسياسته عبر ما يقدمه من ندوات وأنشطة واسعة، إحدى الصور المكثفة التي تعكس قدرة مصر على مر الزمن على تفعيل دورها كقوة ناعمة استطاعت أن تتميز في دبلوماسيتها الثقافية التي كرستها في دعم نهجها المعلن، والقائم على دعم قيم التسامح الإنساني وإزالة التوجس بين الشعوب التي أنهكتها الصراعات السياسية ومزقتها النزاعات العسكرية وعمقت خلافاتها النزاعات الأيديولوجية. كما أن عدداً من الدول العربية منها الإمارات وعمان والسعودية استطاعت أن تدمج سياستها ودبلوماسيتها مع نشاطها الثقافى الفاعل على المستوى الداخلي والخارجي ونجحت في تجسير العلاقات بين الشعوب التي هدمتها معاوّل الصراع السياسي ضمن برامج واضحة المعالم، منفتحة على الآخر وتعي جيداً ما تريد تحقيقه من غايات تعزز من حضورها وقوتها الناعمة، كفاعلين دوليين. لقد باتت الثقافة اليوم لديها القدرة على تجاوز تشوهات العلاقات السياسية المضطربة بين دول العالم وحّمى الصراعات الاقتصادية المشتعلة، فيقدر ما يمكن أن تمد من جسور التبادل الثقافى بين الشعوب فإنها تزيل الحواجز النفسية التي خلفتها السياسة والاقتصاد، وتزيل الوحشة التي تخيم عادة بفعل الممارك الإعلامية التي باتت سمة من سمات العصر. فالثقافة هي ذلك العنصر الناعم الذي يضاهي في قوته وجماله معدن «الألماس»، ويحدث في العقل البشري ما لا يفعله



أسسها المفكر النمساوي كارل أنطون روهان كمنصة دولية لربط الثقافة الألمانية بالدول الأوروبية الأخرى بعد الحرب العظمى. وفي الفصل الحادي عشر جاء إسهام لوسيا كامبانيلا، حول نشر مفهوم القوة الناعمة ونشر التاريخ واستكشاف مسارات الوسيطيين الثقافيين أورسيني بيرتاني وبينيتو ميللا، الذين عملا كناشرين وبائعي كتب وطابعات ومحرري مجلات في أوروغواي عندما تقاطعت الثقافة والسياسة على الصعيدين المحلي والدولي، مع استكشافهما للأهمية الثقافية الأثرية.

وفي الجزء الثالث، يتضمن الكتاب أعمالاً تتناول العلاقات الثقافية والدبلوماسية الثقافية والتاريخ الفكري بعد الحرب العالمية الثانية، مع الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالثقافة والمؤسسات الأدبية (انظر فصول تروتشل دانييلز وكاسكوبرتا). أما الفصل ١٢ والذي كتبه مارجريدا كازا كوبيرتا فيتناول التاريخ العابر للحدود لألعاب الأزهار والمسابقات الأدبية الكاتالونية ودورها في إنشاء الشبكات الأدبية والثقافية والفكرية والسياسية، مما يدل على إمكانات رسم الخرائط الأدبية في توضيح وتحليل هذا النظام المعقد للعلاقات الثقافية والهوية والسياسية والإقليمية ذات النطاق العابر للحدود. ويتبعه الفصل ١٣ بقلم بيانكا تروتشل دانييلز ويتناول تطور المساحات الدولية التي كان فيها الحفاظ على التراث الثقافي بمثابة ثروة للدبلوماسية الثقافية. تأخذ نهاية القرن التاسع عشر كنقطة انطلاق لتحليل كيفية ظهور مساحة دولية للنقاش حول الحفاظ على المعالم الأثرية. ثم ركزت بعد ذلك على حالتين محددين تتعلقان بالتاريخ الألماني للحفاظ على الآثار - على وجه التحديد رفض الحكومة الألمانية المشاركة في اللجنة الدولية للآثار التاريخية في عام ١٩٣٣، وحظر الحفاظ على الآثار من جمهورية ألمانيا الديمقراطية في المجلس الدولي حول المعالم والمواقع.

وفي الفصل ١٤ يكتب خورخي ج. لوكان كيف ساهمت حركة السلام في ترجمة الأدب الأمريكي اللاتيني إلى الروسية والصينية والألمانية. ومن منظور النشر وتاريخ الكتاب، يتناول خوان ديفيد موريللو في الفصل ١٥ دور الناشرين، مانويل سكورزا وإريك كوجرينز مارتن، في عقد المهرجانات الأدبية التي وفرت وصولاً جماعياً للكتب، و «تنمية» القطاعات الشعبية وتوسيعها، واستهلاك الأدب الوطني بأهداف مستقلة، لم تحرم من البعد السياسي، إلا أنها سعت أيضاً إلى التكامل الثقافي لأمريكا اللاتينية.

وفي الفصل ١٦ يتحدث نوريا كودينا سولا وجاك مكمارتين عن جائزة الاتحاد الأوروبي للأدب (وكيف تسلمت بها الهيكل الوطنية أو تغلغت في عملها، بقربها من القطب السياسي مما يوضح اهتمام الفاعلين السياسيين بالأدب كطريقة لبناء الهويات الجماعية، مع التركيز على الهويات الإقليمية.

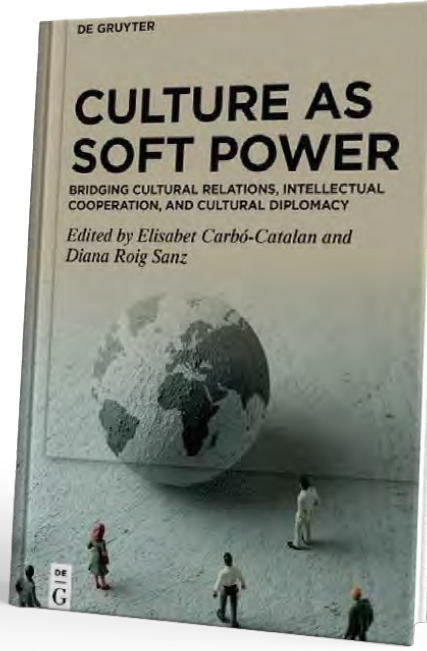
الكتاب: الثقافة قوة ناعمة: تجسير العلاقات الثقافية والتعاون الفكري والدبلوماسية الثقافية

تحرير: إليزابيت كاربو كاتالان وديانا رويج سانز

سنة النشر: 2022

الناشر: والتر دي جرويتز GmbH، برلين/بوسطن

* أستاذ بكلية العلوم جامعة القاهرة،
جمهورية مصر العربية



وفي الفصل السادس تناقش الكسندرا بيتا ما حدث في مؤتمرين متصلين نظمهما المعهد الدولي للتعاون الفكري في سانتياغو، شيلي، في يناير ١٩٣٩، ومراقبة التوترات بين أوروبا وأمريكا وإثبات وجود إقليمية أمريكية معينة كانت غائبة في التعاون الفكري الذي تم تأسيسه من قبل عصبة الأمم. وفي الفصل السابع، تتناول كاميليا جاتيكا ميزالا تأسيس المعهد السينمائي التعليمي الدولي في روما، وكذلك تأسيس معهد السينما التعليمية في سانتياغو، شيلي. حيث تم من خلالهما تناول إمكانات السينما في مجال التعليم في إطار الأهمية الثقافية، أي كوسيلة لتعزيز التفاهم المتبادل بين الثقافات، مع العمل على تعزيز مثل هذه المشاريع، تحقيقاً للأهداف الوطنية والدولية. وتأتي مساهمة آدم همفريز في الفصل الثامن الذي يدرس بالمعهد البريطاني في فلورنسا كأول معهد ثقافي بريطاني خارج المملكة المتحدة. ويسلط الضوء على مشاركة الجهات الحكومية في تاريخها. يتحدث هذا البحث السرد الموجود مسبقاً للمعهد كمبادرة ممولة من القطاع الخاص بالنظر إلى السياق الأوسع لتطوير الدعاية البريطانية وعلاقة المملكة المتحدة بإيطاليا خلال الحرب العالمية الأولى، حيث أعيد تقييم تأسيس المعهد باعتباره مظهرًا من مظاهر التقارب بين المصالح المحلية والعالمية، البريطانية والإيطالية. ويأتي الفصل التاسع بقلم كل من سيمونا سكرابيك وجاومي سوبيرانا، فيستند إلى تحليل لتاريخ السنوات الأولى للعلم الكاتالوني (١٩٢٢)، ويستكشف المؤلفان كيف تمكنت هذه المنظمة الثقافية وحقوق الإنسان من خلق التماسك داخل الجماعة على مدى فترة طويلة من الزمن على الرغم من الظروف الصعبة في أوروبا وكاتالونيا على مدى القرن العشرين. كما يسلط الفصل الضوء أيضاً على كيفية التي سعت بها منظمة PEN الكاتالونية إلى تحقيق رغبتها في اعتبار الثقافة الكاتالونية متساوية على المسرح الدولي.

وفي الفصل العاشر تروي مارغريتا جارييسو تاريخ مجلة Europäische Revue، وهي مجلة شهرية ألمانية محافظة ظهرت من عام ١٩٢٥ إلى عام ١٩٤٤ ومثلت فكرة التوحيد الأوروبي من عام ١٩٣٣ فصاعداً، وأصبحت المجلة تحت تأثير حكومة الرايخ الألمانية بشكل متزايد التي مولتها كأداة للدعاية المغرضة، وكان قد

متجانسة، مثل التدخل في كيفية النظر إلى ثقافة معينة في الخارج. إن جسر العلاقات الثقافية والتعاون الفكري والدبلوماسية الثقافية هي المساهمة في إضفاء الطابع المؤسسي على مجال الدراسة الذي يتقاطع مع العلاقات الثقافية والتعاون الفكري والدبلوماسية الثقافية بطرق متعددة التخصصات.

وفي سبيل استكشاف إمكانية بناء مقارن عبر وطنية باختيار دراسات حالة تمتد من أواخر القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا عبر سياقات جغرافية متنوعة، فإن هذا الكتاب يبرز عدداً من المؤسسات والمنظمات الثقافية التي يمكن دراستها من خلال نظرة القوة الناعمة. وإذ يغطي الكتاب سياقات جغرافية مختلفة، فإنه يركز بشكل كبير على أمريكا اللاتينية والعالم الناطق بالإسبانية، حيث أن هذه المناطق قامت بدراسات أقل باستخدام هذا النهج. وتحلل مساهمات هذا الكتاب استخدامات الثقافة كمصدر للقوة الناعمة وكوسيلة للوصول إلى أهداف في الساحتين السياسية والاجتماعية. ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام: يتضمن الجزء الأول إطاراً نظرياً جديداً ومتعدد التخصصات ومراجعة شاملة للأدب لربط التقاليد العلمية المختلفة وتوضيح التقائهما، والذي ينتج عن تنقل كل منهما من الثقافة إلى السياسة ومن السياسة إلى الثقافة. وفي الجزء الثاني، تحلل مجموعة ثانية من المساهمات وتقرن بين العديد من المنظمات الثقافية المتخصصة في التعاون الفكري والدبلوماسية الثقافية والعلاقات الثقافية وذلك في فترة ما بين الحربين العالميتين. أما الجزء الثالث فيطبق منظور القوة الناعمة على دراسة الدبلوماسية الثقافية والعلاقات الثقافية في حقبة ما بعد الحرب، ويلقي الضوء على الأنماط والآليات التي تميز الممارسات التي تمت قبل الحرب وبعدها، مما يساهم في إضفاء الطابع التاريخي عليها.

يبدأ الكتاب بالفصل الأول لكل من إليزابيت كاربو كاتالان وديانا رويج سانز حول ذكر وجهات نظر جديدة متعددة التخصصات عن الثقافة والسياسة تليها مساهمات تقدمان حالات فنية في موضوع الكتاب. وفي الفصل الثاني، يقدم فرانسوا تشوييت لمحة عامة عن مجال العلاقات الثقافية الدولية ويضع تفاصيل الأطر النظرية التي تم استكشافها على مفترق الطرق بين الثقافة والسياسة. ويتعامل مع العولمة الثقافية وكيف أنها تحدى العمل الثقافي الأجنبي. ويناقش الفصل الثالث لبولا برونو أهمية إبراز الحاجة إلى كتابة تاريخ لدور المرأة في الدبلوماسية الثقافية ومفهوم الجماعة من حيث النوع ويقترح مراجعة الأدبيات حول دور المرأة في التاريخ الدبلوماسي ويقترح تركيزها على النساء كخطوة أولى نحو تحليل التاريخ الثقافي الدبلوماسي مع المساهمة أيضاً في إعادة تأكيد وجود الثقافات المحيطية بدلاً من مجرد الجدل حول خصوصية هؤلاء النساء، مع أخذهن في الاعتبار.

وفي الجزء الثاني، يتم تضمين أوراقا تتناول الدبلوماسية الثقافية والعلاقات الثقافية والتعاون الفكري في فترة ما بين الحربين. فيتساءل مارتن جراندجين في الفصل الرابع عن العلاقة الإشكالية بين جنيف وباريس حول أنشطة اللجنة الدولية للتعاون الفكري (ICIC) والمعهد الدولي للتعاون الفكري (IIIC) ويدرس التاريخ المؤسسي للتعاون الفكري ويلقي الضوء على العلاقات بين التعاون والدبلوماسية. وفي الفصل الخامس تتناول جوليت دومون التعاون الفكري مع التركيز على الأنشطة الأكاديمية وتوضيح الطريقة التي تعتمد بها استراتيجية تشيلي لتشكيل صورة البلاد في الخارج في فترة ما بين الحربين بالتركيز على الأنشطة التعليمية. كما تسلط الضوء على تعقيدات التعاون الفكري والدبلوماسية الثقافية.



القصة الموجزة للاضطرابات الروسية

ياكوف ميركين

فيكتوريا زاريتوفسكايا *

«قِف - انطلق - قاتل» - ثالث علم النفس الشهير، هي ذي الطريقة التي نعيش بها، والتي نستجيب بها لأي ضغط كان. التوقف يعني الحياة الاعتيادية والصمت. الانطلاق هو الاحتماء مسبقاً بعد فهم المستقبل ومخاطره المدلهمة، والاختيار الثالث يأتي عند مدهامة الخطر وضرورة محاربة الظروف المسببة له، بل ونشوب الحرب من أجل درئه. هذه هي النماذج التي يتصرف بموجبها الأفراد والعائلات والأمم بأسرها. كل واحد منا مرتبط بتاريخه ومجتمعه، الفرد فينا أمة، وفي داخل كل منا يعيش ما يسمى بالكائن الجماعي. هذا الكائن الجماعي الروسي هو موضوع كتاب الاقتصادي الروسي المعروف ياكوف ميركين والذي يرسم من خلاله أمثلة للنماذج الثلاثة وذلك من واقع سلوكيات الشعب الروسي عبر ثلاثمائة سنة مضت من تاريخه.

أكثر قسوة (...). السبب في كل هذا واضح: حقيقة أن مساعديكم يؤكدون لكم أنه من خلال وقف أي حراك مجتمعي، فإنهم يضمنون بذلك رفاهية هذا الشعب وسلامتكم وأمنكم. حسناً، ولكن من المرجح أن شيئاً لن يوقف مجرى النهر أو الحركة الأبدية للبشرية التي أرساها الله» (ص: ١٢١).

لقد تحققت التنبؤات التي كتبها تولستوي قبل أعوام من ثورة ١٩٠٥ والحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٦ والثورة البلشفية ١٩١٧ والحرب الأهلية ١٩١٨-١٩٢٠ إذ بنى فلسفته على أساس أنه «يمكن بالنعف اضهاد الشعب ولكن ليس السيطرة عليه. فالوسيلة الوحيدة للسيطرة على الناس هي أن يكون القائد والزعيم على رأس حركة الخير، حركة الانتقال من الظلام إلى النور، وأن يقود شعبه لتحقيق أهداف هذه الحركة. يجب عليه أولاً وقبل كل شيء منح الناس فرصة التعبير عن رغباتهم واحتياجاتهم، وبعد الاستماع إلى هذه الرغبات والاحتياجات عليه أن يلبي مطالبهم، ليس طبقة واحدة منهم فقط، بل مطالب الأغلبية وجماهير العمال» (ص: ١٢٢).

يحاول المؤلف رصد الاقتصاد الروسي للسنوات الثلاثين الماضية وتخمين اتجاهاته المقبلة. يلاحظ أن من سمات الاقتصاد الروسي الحديث الدور المتزايد للدولة (حصة الدولة في رأسمال أكبر ١٠ شركات وطنية تصل إلى ٨٨٪)، والتمركز المتزايد لمختلف الموارد ورؤوس الأموال والأدمغة في المدينتين الأكبر في روسيا الشاسعة (موسكو وسانت بطرسبورغ)، وتعزيز السلطة بشكل عمودي، وأن ميزانية الدولة هي الآلة الوحيدة

ذلك غالباً ما ذهب أصواتهم سدى ولم تجد صدًى في القمة التي كانت تتصرف وكأن شيئاً لا يتغير، وإن حدث شيء فهو أمر مُقدّر. (ص: ١٢٠). أهم هذه الأمثلة تلك المراسلة التي جرت بين الكاتب الروسي العظيم ليف تولستوي والإمبراطور الروسي الأخير نيكولاي الثاني والتي يتفحصها الباحث بشكل دقيق. في عام ١٩٠٢ وجّه القيصر نيكولاي الثاني جواباً شفهيًا لتولستوي مفاده أن صاحب السيادة قد قرأ رسالته، لكنه لم يُظهرها لأحد، ما يوضح أن رسالة الكاتب الكبير لم تترك أثراً عند القيصر وبالتالي لم يُناقشها مع السلطة العليا. كان الصمت هو الجواب. فماذا الذي أراد تولستوي إيصاله؟ لم تكن هناك ثورات في روسيا في حينها، لم يكن سوى أحلام تختمر وبعض الاضطرابات التي كان الوقت متاحاً لإخمادها. ومع ذلك ظل تولستوي يدون الرسالة تلو الأخرى وبيعتها للقيصر، هذه الرسائل التي يصفها الباحث بالمخيفة، وهنا سرد لجزء منها: «إن ثلث روسيا تحت حراسة أمنية مُشددة، أي أنها في حالة الخارج عن القانون. جيش الشرطة النظامية والسرية يتضخم أكثر فأكثر. تكتظ السجون ومعتقلات النفي بالمتهمين بقضايا سياسية، من بينهم الآن عمال أيضاً. مستوى الرقابة في المنع بلغ مستوى عبثياً لم يبلغه حتى في أسوأ الأوقات، ولم تكن الاضطهادات الدينية متكررة ووحشية كما هي الآن (...). في كل مكان في المدن والمصانع تتركز الوحدات العسكرية وتوجه مدافعها على الناس، وفي العديد من الأماكن أريق الدم بين الأشقاء، وسيحدث مثل ذلك في غير مكان، وحتماً ستنشأ أحداث أخرى جديدة

فمن خلال قراءته لمآسي الشعب الروسي وعبر تجواله في الفلك الاقتصادي للبلاد، يستنتج الكاتب وقوع اضطرابات تنتظم روسيا في فترات تتراوح من ١٥ إلى ٢٥ عاماً، تطول وتقصّر، لكنها، وفي جميع الأحوال، تشكل نبضاً حيويًا للمجتمع. فكل جيل روسي قد تحتم عليه أن يفقد أملاكه ومدخراته ويبدأ ثانية من الصفر: في القرن العشرين حدث تضخمان مفرطان، وأربعة إصلاحات نقدية، ونشبت حروب - حربان عالميتان وحرب أهلية، اشتعلت ثورات، وصودرت أصول الأسرة من قبل الدولة كما حدث عام ١٩١٧ وتكرر في نهاية العشرينيات، وألغيت المؤسسات الخاصة، وطبق التعميم الزراعي في الثلاثينيات، ولم يكن القرن الواحد والعشرين بمنأى عن الأزمات ومنها استمرار الإصلاحات في المعاشات التقاعدية. الخلاصة أنه لا تمر عشر سنوات أو خمس عشرة سنة على البلاد من غير أزمة أو أزمتين طاحتين تتمثل عادة في تفشي التضخم وخسارة الأموال، أي الأزمات التي غالباً ما تصاحب البلدان النامية.

على عكس النماذج النفسانية الثلاثة أفنة الذكر، يسوق الكاتب أمثلة لفئة أخرى من الناس لا يندرجون في أي من تلك النماذج، وقد حاول هؤلاء التنبؤ بالمستقبل والجهر بتوقعاتهم. يقول الباحث: «لقد توسلوا وصرخوا بأعلى صوتهم محذرين، ليس عن وهم كما يبدو، بل كانوا على يقين من أن الأوقات العصيبة قادمة بلا شك، وأن الفوضى ستنتزل بالبلاد. وقد كانوا على حق في معظم الأحيان، ذلك لأن توقعاتهم ليست تخمينات بل نتيجة تفكير ضمن سياق منطقي. ومع



مع المنتصر. وتوضيح هذه الفكرة يعرفنا الباحث على الرسالة الأخيرة للمستكشف القطبي والقائد البحري والقائد العام للجيش الأبيض الروسي الكسندر كوتشا حول السياسة الدولية حيث يقول: «كل العلاقات القائمة على السياسات الخارجية يحددها النجاح أو الفشل. عندما كنت أحقق الانتصارات، كان كل شيء على ما يرام. وعندما ناصبني الإخفاق، شعرت أن لا أحد سيدعمني أو يساعدي في أي شيء، كل شيء يعتمد فقط على المفهوم الأكثر بدائية وبساطة للمنتصر والمنهزم حيث لا يد فوق يد المنتصر وله الاحترام والمهابة أما المهزوم فتجري عليه النوايب. هذا هو جوهر كل العلاقات السياسية، الخارجية والداخلية» (ص: ٢٤٤-٢٤٥). ويسأل الكاتب: «هل هناك دروس من عقوبات ١٩٢٠-١٩١٩؟» ويجيب: «نعم، يجب أن تنتصر. لكن في ماذا؟ اليوم يكمن الانتصار الرئيسي في الاقتصاد، في نموه والزيادة السريعة في الطلب المحلي ومستوى التكنولوجيا والقدرة على توليد الأفكار والابتكار لتكون البلاد ورشة عمل للعالم، وليس فقط أكبر مورد للمواد الخام والأسلحة. الانتصار في أن يسود الحب للابتكارات وخلق حوافز قوية لرجال الأعمال، فمعدل نمو ٧,٥٪ يلغي أي عقوبات ولا يمكن المقاومة أمام مثل هذا السوق المتنامي الكبير وستتجمد جميع النزاعات الإقليمية عاجلاً أم آجلاً كما هو الحال في الصين (ص: ٢٤٦).

تزود الكتاب بالعشرات من الرسوم التوضيحية للفنان الروسي العالمي فاسيلي كاندينسكي (١٨٦٦-١٩٤٤)، الذي وقف على أصول الفن التشكيلي التجريدي، وفنان الجرافيك الألماني السويسري، أحد كبار الطليعة الأوروبية بول كلي (١٨٧٩-١٩٤٠)، وهما اللذان عاصرا الحربين العالميتين، وكانت مصائرها الشخصية حبلى بالمخاطر ونقاط التحول، فاعتبرها الكاتب أفضل الرسوم التوضيحية التي تعكس أفكاره ومزاج بحثه.

الكتاب: القصة الموجزة للاضطرابات الروسية

المؤلف: ياكوف ميركين.

دار الإصدار: آس ت/موسكو/2023

اللغة: الروسية

عدد الصفحات: 320

* أكاديمية ومستعربة روسية



الرسمي» (ص: ٣٧). ويشير المؤلف إلى إمكانية كبيرة في أن يأخذ الاقتصاد الروسي طريق النموذج الإيراني وهو نموذج يتشكل تحت الضغط الخارجي القوي والعقوبات ويؤدي إلى الدور القوي للدولة في الاقتصاد الكلي كإدارة سوق العملات وإحلال الأيديولوجية وتقليص العلاقات مع الغرب والانعطاف إلى الشرق. عدا ذلك، ومع أن الكاتب قد يمم شطر الماضي وأرسى قلوغه في بحر الثلاثمائة سنة المنفرطة، إلا أنه يوسع شبكته لتشمل الحاضر، وبالأخص حينما يستقرئ مقولات وآراء الأسلاف من الحكماء والشخصيات البارزة في الثقافة والسياسة والتاريخ الروسي، محاولاً في ذلك إيجاد أوجه شبه بين الماضي والحاضر علّه يستنبط ما يخبئه المستقبل. يصب تركيزه على الضغط الاقتصادي الخارجي الذي تركز به الدولة الروسية هذه الأيام ويكتب: «قبل أكثر من ١٠٠ عام، في عام ١٩١٩، أعلنت دول الحلفاء حصاراً اقتصادياً على الدولة السوفيتية الجديدة، فما هي تلك العقوبات؟ عدم السماح لأية سفينة بدخول الموانئ الروسية أو دخول أي بضائع منها بأي وسيلة. لا تأشيريات من وإلى روسيا. لا معاملات مصرفية مع روسيا. رفض التعامل مع مواطني روسيا حتى في خدمات البريد. استمر الحصار لمدة ٣ أشهر فقط، ففي عام ١٩٢٠ تغير وضع الحرب الأهلية في روسيا. انهزم الجيش الأبيض في سيبيريا وغيرها من المناطق ونشأ واقع جديد أصبح فيه واضحاً أن روسيا سترفع رايتها الحمراء (الشيوعية) ولا مناص من فتح قنوات التجارة معها، أي

الضامنة لنمو الصناعات والمؤسسات وتوزيع المساعدات الاجتماعية لمستحقيها. ويسمي الباحث اقتصاد روسيا باقتصاد العقوبات وليس الحوافز، ومن الإشارات الواضحة لذلك، تضاعف حجم قاعدة القانون الجنائي وقانون الجرائم الإدارية أكثر من ثلاثة أضعاف منذ اعتمادهما. كما يظهر التناقض الذي يمنع تطور البلاد في عجز روسيا الاستثماري الضخم مقابل احتياطاتها الفائضة من الموارد حيث صُنّف صندوق الثروة الوطني الروسي أوائل ٢٠٢٠ الرابع في العالم من حيث الاحتياطات الدولية، والمركز الخامس من حيث احتياطي الذهب في البنك المركزي، وبالمقابل تحتل روسيا المرتبة ١١ في العالم من حيث الناتج المحلي الإجمالي. الخلاصة أن الأموال الفائضة تم إيداعها في الخارج لسنوات عديدة ولم تنفق على الاستثمارات أو على البرامج الاجتماعية داخل البلاد. وهكذا، ففي الفترة من فبراير إلى مارس ٢٠٢٢ تم تجميد أكثر من نصف أموال الاحتياطي الدولي للصندوق الروسي في الغرب.

يذكر الكتاب قصة فقدان منطقة ألاسكا الروسية في القارة الأمريكية كدليل على ما يحدث حين يكون نموذج المجتمع والاقتصاد خاطئاً، فتضيع معه الأموال والأنفس. كان نموذج اقتصاد «أمريكا الروسية» شديد الصرامة، يعتمد على الموارد والإمدادات الخارجية المرتفعة، ولم يكن مدعوماً بالهجرة الحرة وتدفقات رأس المال وذلك مع قاعدة بشرية صغيرة للغاية غير قادرة على التسيّد على الأرض. أدى هذا النموذج السلبي لإدارة الدولة لأن تغدو ألاسكا بالنسبة للإمبراطورية الروسية مثل حقيبة بدون مقبض ونتيجة لذلك فقدتها وباعتها للولايات المتحدة عام ١٨٦٧.

يضعنا المؤلف أمام مختلف النماذج الاقتصادية كالنموذج الأنجلو سكسوني والأوربي والأوربي الشمالي والأمريكي واللاتيني والآسيوي رافضاً في الوقت نفسه مواءمتها بالنموذج الروسي، بما في ذلك النموذج الصيني الذي لطالما سعت إليه النخبة الروسية خلال العقدتين الماضيتين وهو النموذج المتمثل في الإدارة المركزية القوية، وتمركز السلطة في يد الدولة، والسيطرة الشاملة على السكان، وأحادية الوعي الجماعي. يقول الباحث: «إننا مختلفون ولا يمكن فرض النموذج الآسيوي على السلوك الجماعي لمواطنينا. لن نحقق الانضباط والإنتاجية العالية بهذه الطريقة، بل سنحرف إلى الاقتصاد الرمادي غير



لنتعلم من ألمانيا: جوته وهيجل فوزي بوبية

رزوان ضاوي *

يمكن لنا أن نتعلم دائماً من ألمانيا، سواء بشكل إيجابي أو سلبي. تأسيساً على هذا الشعار الحضاري، صدر في العاصمة الألمانية برلين كتاب «لنتعلم من ألمانيا: جوته وهيجل» للفيلسوف والكاتب المغربي فوزي بوبية. يتألف هذا الكتاب من مقدمة وثلاثة أبواب. خصص الباب الأول لدراسة الشروط والأسس الجغرافية لرحلات هيجل الفلسفية عبر العالم، إلى أمريكا، ورحلة السفينة ميرفانا، وهي «سفينة العبيد» إلى إفريقيا قامت بجلب العبيد من غانا إلى مستعمرات أمريكا الجنوبية في الفترة ما من 1799 إلى 1807. وكرس الكاتب هذا الفصل للحديث عن سفر هيجل Georg Wilhelm Friedrich Hegel الفلسفي عند الزنوج والآسيويين والفرس واليهود. كما تحدث المؤلف بوبية فيه عن صورة ألمانيا والألمان والرحلة في أعماق العقل الجدلي. بينما خصص الباب الثاني بعنوان «رحلة الفيلسوف والكاتب والشاعر الألماني جوته Johann Wolfgang von Goethe الشعرية إلى العالم»، لتناول مسألة تجاوز الحدود الوطنية من خلال رحلاته الذهنية، والتواصل على نحو كوني وثقافي، مع الإنتاج الفكري في الثقافات الأخرى، بوصفه إرثاً عالمياً، واعتبار نظرية الغيرية مشروعاً للمستقبل. وقد تبلورت هذه التوجهات في فلسفة الآخر في رحلة جوته الذهنية إلى الشرق، ففيها عالج موضوع التكافل الغربي-الشرقي في شعره وفي الدين من خلال تمجيده للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. وختم المؤلف كتابه بالباب الثالث بعنوان «المواجهة على أعلى المستويات بين جوته وهيجل»، وفيه قدّم مقارنة مركزة بين قطبي وممثلي الثقافة الألمانية في الفترة المعاصرة والحديثة.

ذلك أنه أقصى من فلسفته العرب والأفارقة والآسيويين، وأنكر عليهم أنهم طوروا ثقافة ما، وهو حكم نمطي تم إعادة إنتاجه في نصوص كارل ماركس Karl Heinrich Marx عن نوعية الإنتاج الآسيوي.

وعلى العكس من ذلك، يرى فوزي بوبية أن ألكسندر فون هامبولدت Alexander von Humboldt لم يكتف بدراسة الطبيعة الاستوائية، بل هاجم أيضاً تجارة العبيد والإمبريالية وانتقد فكر هيجل، واتهمه أنه لم ير العالم على حقيقته ولم ينظر إليه على أنه عالم واسع ومتعدد، مستلهما كل هذا من جوته ومتأثراً برؤيته للعالم.

من المؤكد أن هذا الكتاب يلفت انتباه المتلقي الألماني إلى صفة الكاتب والمفكر والأديب والفيلسوف جوته والمفكر والفيلسوف هيجل، بوصفهما وسيطين وممثلين عظيمين لتاريخ الثقافة الألمانية، ذلك أن إشعاعهما لم يقتصر على المجال الناطق باللغة الألمانية، ولكن تأثيرهما امتد ليعالج قضايا الشعوب الحالية والمستقبلية، وربما لهذا السبب يتم دراستهما مستقلين عن بعضهما، ولم تستطع الدراسات الموجودة حالياً الانتباه إلى أهمية عقد مقارنة بينهما، بما أن اهتماماتهما وموضوعاتهما النظرية والتطبيقية تدور حول إشكالية الاندماج والإقصاء، والسلم العالمي، والحرب الدائمة، وتعالج مكانة ألمانيا في عصر أصبح فيه العالم على أعتاب عوامة شاملة. ولقد عالجا مواضيع تقع ضمن اهتماماتهما وانشغالتهما المركزية وبالسئلة المرتبطة بهذه المواضيع وتطبيقاتها، فطورا مفاهيم عامة، وشاملة، يمكنها أن تفسر الوجود الإنساني في شموليته وتشرح التأثير الإنساني، وتسلط الضوء على الكل مقابل الضرد، وتؤول الخاص في سياق العام، وكلاهما قدم اقتراحات معولة لحل مشاكل العصر في سياق ثورة التصنيع، وهي اقتراحات لا تنعكس فقط على ألمانيا ومكانتها العالمية، بل

ومعظم نصوصه كتبها بلغة جوته «الألمانية»، ولكنه كتب أيضاً بالفرنسية والعربية. ويقدم بوبية نفسه بوصفه مواطناً شرقياً وغربياً (الشرق والغرب).

يؤطر المؤلف كتابه بالسياق العام الذي ظهرت فيه فلسفة هيجل (الروح العالمية) وفكر جوته (الأدب العالمي)، فأكد على أن إدراك وفهم أوروبا للثقافات وللآخر يتأرجح بين مجموعة من الأقطاب الموجودة على طرفي نقيض منذ الأزل، ومنها أن الآخرين، أو أصحاب الثقافات الأجنبية متوحشون وبدائيون ومتعصبون للدماء، ضمن حكمة الشرق أو الاستبداد الشرقي، وضمن ثنائية تعدد الثقافات وكراهية الأجانب، وفي المقابل ساد تقليد الفضول والتسامح والاحترام تجاه الآخر منذ لايبنتيس Gottfried Wilhelm Leibniz وليسينغ Enno Gotthold Ephraim Lessing حتى إنو ليمان Enno Littmann وكلود ليفي شتراوس Claude Lévi-Strauss، وفي هذا السياق ظل جوته محفزاً ورائداً للتسامح له أهمية مميزة، ليس فقط لأنه فكر وكتب شعرا عن الشرق على نحو صادق وحقيقي: فقد كان ديوانه الشرقي الغربي نموذجاً نادراً للشعور المتسامح؛ لأنه اعتبر ثقافة الشرق في نفس مقام ثقافته، بل اعترف بها على أنها ثقافة متفوقة على ثقافته الأصلية.

نفس الخلاصات خرج بها المؤلف حين تحدث عن صورة الصين في شعر جوته الذي كتبه حين تقدم به العمر، وأيضاً بخصوص تصوره لنظرية الأدب العالمي، التي أقام أسسها على ضوء الثورة التي عرفتها التجارة العالمية والنقل العالمي، إضافة إلى الثورة الاجتماعية لعام 1848 والعوامة التي اكتسحت العالم.

بالمقابل، يؤكد بوبية أن منهج هيجل الفكري لم يكن أوروبياً مركزياً فقط، بل أيضاً قُطرياً ووطنياً، ليصل إلى درجة العنصرية،

يعالج هذا الكتاب مجموعة من السياقات التي ميّزت بين رؤية جوته ورؤية هيجل للعالم، وتطرق لقضايا راهنة لها علاقة مباشرة بمشاكل العصر الحديث والمعاصر. ويعود بنا هذا الكتاب إلى «زمن جوته»: أي بداية من منتصف القرن الثامن عشر إلى ثلاثينيات القرن التاسع عشر، فالمؤلف يعترف هنا أنه في «زمن جوته» امتلكت ألمانيا ومعها العالم في تاريخ العلم تركيباً مدهشاً للغاية، هو الثنائية الفكرية والحضارية والتاريخية «جوته - شيلر»، وهي علاقة معروفة بشكل كاف، نظراً للدراسات الكثيرة التي تناولت علاقة جوته برقيق دربه شيلر وصدقتهما وما أنتجته في العصرين الأدبيين «العاصفة والدفع»، و«الكلاسيكية»، باعتبارهما فترتين مهمتين توضحان لنا مجموعة من الإشكاليات الفكرية والتاريخية والحضارية. وتتجلى أهمية هذا الكتاب وجدّته في بحث الكاتب في علاقة أخرى لجوته، وهي لا تقل أهمية وراهنية عن علاقة جوته بشيلر. إنها علاقة تتيح إمكانية المقارنة العميقة بين كاتبين ومفكرين كبيرين هما جوته وهيجل. هذه الصدفة التي يعتبرها المؤلف «سعيدة - غير سعيدة»، لها نتائج وازنة بالنسبة لتاريخ الفكر الألماني، لكنها مجهولة للمتلقي، لأنها لم تحظ حتى اليوم بدراسات معروفة في البحث العلمي.

والمؤلف فوزي بوبية حاصل على الماجستير في العلوم السياسية والأدب، وعلى الدكتوراه من جامعة هايدلبرغ في الفلسفة، وعلى درجة الأستاذية في جامعة السوربون باريس 4. وتميز نشاطه العلمي بتدريس الأدب والتاريخ والحضارة الألمانية في عدة جامعات، منها جامعة محمد الخامس بالرباط وجامعة كان الفرنسية (Caen)، كما حاضر في جامعتي كارلسغوه وهايدلبرغ الألمانيتين. ويُعد بوبية مقارناً ومؤرخاً ومتخصصاً في الدراسات الثقافية، وبالضبط في ثقافة الحوار في المجال المتوسطي وفي مجال العلاقات بين الشرق والغرب،



التاريخية مركزية أوروبية واستعمارية فقط، ولكنها كانت أيضاً مليئة بالصور النمطية المعادية للشعوب من خارج أوروبا، فصار مصطلح «روح العالم» حصرياً وإقصائياً، ويفهم بطريقة انتقائية، فحتى في التأمل على المسرح الفعلي لتاريخ العالم قدم هيجل التسلسل الهرمي للشعوب والثقافات لغرض تثبيت الدولة البروسية التي يعتبرها الذروة المطلقة التي تجسد روح العالم أو نهاية واستكمال للتاريخ البشري بشكل عام.

في هذا الكتاب الذي يحمل عنواناً مفكراً فيه جيداً، وهو «لتعلم من ألمانيا: جوته وهيجل»، يقدم الكاتب موقفين أساسيين وفي نفس الوقت متناقضين؛ كلاهما ترك بصمة عميقة في التاريخ الفكري الألماني. يتسم الأول بالانحياز الكامل للهوية الوطنية من خلال إقصاء الآخرين، وهو لهيجل، أما الثاني، فهو لجوته، ويعتبر أن اكتساب هوية الفرد تتم أولاً في التبادل مع الآخرين. ويرى فوزي بوبية كلا الموقفين متجسدين في جوته وهيجل. ورغم أن علاقتهما غير متناغمة، إلا أنه يعتبرهما من عظماء التاريخ الفكري وكانا يقدران بعضهما البعض، وقد سعى كلاهما إلى تنفيذ مشاريع لم تقتصر على أمة بعينها، بل شملت العالم بأسره. وإذا كان الأمير الشاعر من فايمار قد اخترع مفهوم «الأدب العالمي»، فإن الفيلسوف هيجل اكتشف مفهوم «الروح العالمية». كتب فوزي بوبية: «مفهومان، يوجدان في تناقض مع بعضهما البعض من خلال رؤيتهما إلى العالم؛ هما «الأدب العالمي» و«روح العالم»، ينتميان إلى نفس الحقبة، وهي في بداية القرن التاسع عشر، ليقدما إجابات ممتازة ومفصلة عن التصنيع الناشئ والمواجهة العالمية بين الشعوب والأمم مع بعضها البعض. إنها في الواقع بداية العولمة الحديثة وتشكيل قوى عظمى جديدة، حيث يرسم هيجل باعتباره ملكياً رجعيًا يتجاهل حقيقة أن مؤيدي الثورة الفرنسية، التي أيدها، أعطوا الملك دوراً رمزياً فقط. في المقابل، مقت جوته الثورة الفرنسية، رغم أنه بشر بمبادئها، فقد كان يرى أن أنشطة الثورة هددت مكانته في القصر.

يلتزم فوزي بوبية، الكاتب الألماني-المغربي، في هذه الدراسة المقارنة، ببدائل التاريخ، وينجح في إظهار الموقفين المتعارضين لجوته وهيجل بوضوح، من خلال منهجية التجاور والتقابل، والمقارنة، مما يجعل نظرة فوزي بوبية ما بعد الاستعمارية للتاريخ الفكري الألماني مقنعة ومفيدة.

الكتاب: لتعلم من ألمانيا: جوته وهيجل.

الكاتب: فوزي بوبية

دار النشر: PalmArtPress

لغة الكتاب: الألمانية

السنة: 2021

عدد الصفحات: 316.

* باحث في الدراسات المقارنة/الرباط



وهو ما ينطبق على المستقبل الخاص بالأدب المعولم، وعلى أدب الماضي، وهو الأمر الذي جعل جوته يقرأ القرآن ويجد فيه وفي الكثير من النصوص الثقافية العالمية نفس جوهر الإنسانية، والتي تُشيد من خلال نسخ مختلفة ومتعددة من الأخلاق العامة للإنسانية مع مرور الوقت.

ويثني فوزي بوبية على نظرية الأدب العالمي لجوته، بقوله إنه «لا يوجد أدنى تلميح إلى أية بادرة إقصاء في نظرية الأدب العالمي، ولا حتى في الممارسة الأدبية العالمية لجوته، أي من خلال علاقة عمله الشعري والسردى بالأدب الأجنبي، التي برهن فيها جوته تماماً على قدرة لا تصدق على الانفتاح على الغيرية واحترامه لها أو حتى على منحها شخصية نموذجية». ويخلص إلى أن جوته يرمز إلى ألمانيا المنفتحة والمقبلة على الحياة.

بالمقابل يرمز هيجل إلى ألمانيا المظلمة والمغلقة، فقد صاغ فيلسوف الدولة البروسية مفهوم «الروح العالمية» الذي تطور منذ بدايات الحضارة إلى يومنا هذا ويعمل بنجاح من خلال التاريخ. وقد ساعد هيجل على بلورة إيديولوجيته المعادية للآخر بحكم أن ألمانيا تمثل بتاريخها، أكثر من أي بلد آخر، الهاوية التي يمكن أن تقود إليها القومية المفرطة، وغالباً ما تبدو الإجابات على السؤال حول كيفية حدوث ذلك متعلق بتاريخ الاشتراكية القومية في ألمانيا.

يؤكد مؤلف هذا الكتاب أن تصورات هيجل تميزت بالعنصرية بوصفها «عنصرية فلسفة التاريخ» Der Rassismus der Geschichtsphilosophie. ويُقدم مفهوم «روح العالم» عند هيجل ديكتاتورية متجانسة عبر التاريخ، وكان ثمن هذا التقدم الخطي للتاريخ هو استبعاد جميع الثقافات التي يعتبرها هيجل متخلفة. وعلى عكس جوته، الذي تعامل بشكل مكثف مع الشعر القادم من خارج أوروبا، استمد هيجل معرفته من كتب الرحلات الشعبية. لذلك لم تكن فلسفته

أيضاً على علاقاتها مع الثقافات والأمم الأخرى، من خلال مفاهيم مثل الاندماج، والإقصاء، ورسم الحدود.

وبينما تعلق الأمر عند جوته بمفهوم «الأدب العالمي»، قدم هيجل مفهوم «الروح العالمية». وكلا المصطلحين ينعكسان على الاندماج والإقصاء، والتفكير الجماعي في العالم ورسم الحدود وتجاوزها، عند جوته بالدرجة الأولى على الثقافة والأدب، وعند هيجل على أساس الفلسفة ودراسة شاملة لتاريخ العالم والبشرية.

ينطلق جوته من خلفية مميزة وحدائية، حيث لا يعتبر نفسه مكرماً إلا ضمن شبكة ترتبط فيها الثقافات والعصور ببعضها البعض وتتشابك. وهذا واضح في بيتين من شعره في الديوان الغربي الشرقي، ويقول فيهما: «الذي لا يعرف أن يتعلم دروس الثلاثة آلاف سنة الأخيرة، يبقى في العتمة، ويعيش فيها كل يوم/ الشرق رائع، ويمتد إلى البحر المتوسط، و فقط من يحب حافظ ويعرفه، يعلم ما الذي غناه كالديرون».

يؤول فوزي بوبية هذين البيتين في إحالة على المكان والزمان، فيقول إنه فقط من يجد نفسه في هذا التصور العابر للحدود، يكون مؤهلاً لاخترق الأشعار والثقافات وفهم التلميحات المتعددة الثقافات ويستمتع شعرياً بتنوع العلاقات مع الآخر المختلف. إن رؤية العالم هذه تحيل على مفهوم الأمة والثقافة الإيجابي عند هيردر Johann Gottfried von Herder والذي اقترضه جوته منه. فتماماً مثل معلمه هيردر، اهتم جوته أيضاً بالشعر الشعبي وعالج هذه العلاقات كثيراً في أعماله. لكنه طور بسرعة ومنذ رحلته المتأخرة إلى إيطاليا Italianische Reise التي قام بها في الفترة بين 1786 و 1788، حساسيته وتصوره الخاص به، عن العلاقات التي تربط بين الثقافات، والتي شيد بها بناء على آراء هيردر، وطورها جوته في نظرية الأدب العالمي والغيرية لتصبح نظرية تامة وكاملة. وبكلمات أخرى: أصبحت «نظرية الأدب العالمي» تنظيراً وممارسة لتبادل وتعدد ثقافي مفتوح وعام، تتوقع وتستشرف عملياً كل شيء نعرفه اليوم، فانبثاقاً من الأدب العالمي توصل جوته إلى وعي بالعولمة التي اكتسحت عالمنا نحو سرعة نحو التصنيع والتقدم. ومن المعروف أن جوته تابع باهتمام كبير التطورات الجديدة في مجالات الاقتصاد والتبادل التجاري الحر والصناعة ووسائل النقل والإعلام، وكان على دراية كاملة بمسائل التجارة الفكرية الحرة، والتي جعلت التواصل أسهل بكثير حتى في ذلك الوقت، ومشاكل توسع أنشطة التجارة.

يقتنع مؤلف هذا الكتاب الذي بين أيدينا أن مشروع الأدب العالمي «الغيرية في الأدب» عند جوته متعدد الأصوات والثقافات، لأن جوته يهدف في أعماله الفلسفية المثالية إلى الاستدلال على تتبع التاريخ لطريق تنامي الحرية، بحيث يحيل مشروع الأدب العالمي منذ البداية على ثقافات الآخرين التي تنشأ فقط في إطار التبادل العادل والمتساوي. ويعطي بوبية دليلاً قوياً على تأويله الذكي لفلسفة «الأدب العالمي»، فقد ذهب جوته إلى حد مساواة ثقافته وهويته الخاصة به،



لماذا لم يخبرني أحد بهذا من قبل؟ جولي سميث

* فينان نبيل

تلقي الحياة على الإنسان كثيرا من الأعباء قد تؤدي به إلى مشاعر سلبية كثيرة كالإجهاد والقلق، والاكتئاب، وعدم الثقة، والانتقادات الذاتية، والحزن. يمر كل إنسان بأيام ضعيفة، تنخفض فيها حالته المزاجية، وتختلف حدتها من يوم لآخر. ويعاني عدد كبير من الناس من مزاج منخفض في صمت؛ اعتقادا منهم أنه أمر لا يمكن تغييره فيتعمدون إخفاءه، ولا يخبرون أحدا، ويركزون على تلبية توقعات الآخرين، فيتجولون بين الناس، يرسمون ابتسامة على وجوههم، لكن مع الوقت يشعرون بفراغ نفسي كبير، وحالة نفسية سيئة، ولا يستطيعون الاستمتاع بالحياة، فينسحبون، ولا يطلبون العلاج إلا بعد سنوات طويلة من معاناتهم. تحاول الكاتبة «جولي سميث»، التي تعمل طبيبة نفسية، في إيجاد أفكار لعلاج تلك الحالات، وتقدم استراتيجيات جديدة لتسهم في التعامل معها خارج سياق العلاج العيادي. هذه الأدوات لن تمنع الحياة من إلقاء التحديات علينا، لكنها ستساعدنا في المناورة، والتقاط الأنفاس، ثم العودة إلى المسار الصحيح.

الحاد المتواصل لدى الأطفال الذي يتضمن غالباً احتداد المزاج المتكرر الذي لا يتوافق مع العمر النمائي للطفل، والاكتئاب المرتبط بمرض عضوي، والاكتئاب المتواصل، وانعدام الاستمتاع بصورة كبيرة بمعظم أو بكل الأنشطة بشكل يرتبط بصورة مباشرة بالآثار الجسدية لحالة طبية أخرى. بالنسبة لمعظم الأفراد، يمكن علاج اضطرابات الحالة المزاجية بنجاح بواسطة الأدوية والعلاج بالحوار (العلاج النفسي).

ترى الكاتبة أن الاعتلال المزاجي عادة ما يكون نتيجة احتياجات غير ملباة، وأن الخطوة الأولى للتخفيف من الحالة المزاجية المنخفضة المستمرة هي التفكير في الاحتياجات التي لم يتم تلبيتها؛ لذا يجب تفتيت الأفكار، والسلوكيات، والضغوط البيئية التي تساهم في تدني الحالة المزاجية؛ للبدء في تلبيتها من أجل الوصول إلى حالة مزاجية أفضل.

توضح الكاتبة الأسس العلمية التي تقف وراء عمل العقل، الذي يتكون من مجموعة من القوى الإدراكية التي تتضمن الوعي، والمعرفة، والتفكير، والذاكرة. كيف يملك العقل القدرة على التخيل، والتميز، والتقدير، وهو المسئول عن معالجة المشاعر والانفعالات؟ إن العقل يجمع المعلومات من كل الحواس، ومن كل ما نرى ونسمع ونلمس ونشم. يجمع معلوماته من أفعالنا وأفكارنا، ويجمع القرائن من ذكريات الماضي، وشعورنا آنذاك، ويقدم اقتراحا، أو تخمينا لما قد يحدث في الموقف نفسه؛ هذا التخمين يمكن أن يكون عاطفة أو انفعالا، أو حالة مزاجية. العقل يضفي المعنى الذي تصنعه العاطفة ويحدد كيف نستجيب لها، ثم يرسل

الارتفاع والانخفاض عن معدله الطبيعي على المزاج، ويؤدي إلى تقلبه المفاجئ والحاد. وأكثر فئة تعاني من ذلك هم مرضى السكري غير المنتظم، أو في حال الاستخدام الخاطئ للإنسولين. كما يؤثر اضطراب الهرمونات على المزاج؛ إذ يؤثر انخفاض أو ارتفاع نسبة بعض الهرمونات على الحالة النفسية، بحيث نلاحظ أن المراهقين أكثر الفئات العمرية تقلبا في المزاج بسبب التطور الهرموني الذي يؤثر بدوره على الجانب العاطفي، والنفسي عندهم. كذلك انخفاض هرمون «الاستروجين» عند المرأة، وانخفاض أو ارتفاع هرمون «التستوستيرون»، واضطراب هرمون «الكورتيزول»، واضطراب هرمونات الغدة الدرقية، ومتلازمة ما قبل الحيض التي تؤثر على مستوى الهرمونات الأنثوية، والحمل؛ إذ تعاني الحامل من اضطراب الهرمونات بالإضافة إلى الإجهاد الجسدي. من أمثلة حالات الاضطرابات المزاجية الحادة، «الاضطراب الاكتئابي الكبير»، وهي فترات طويلة ومتواصلة من الحزن البالغ، و«الاضطراب ثنائي القطب»، ويعرف كذلك باسم «الاكتئاب الهوسي» أو «الاضطراب العاطفي ثنائي القطب»، وهو الاكتئاب الذي يتضمن فترات متناوبة من الاكتئاب، والهوس، و«الاضطراب العاطفي الموسمي»؛ أحد أشكال الاكتئاب الذي يرتبط غالباً بقلة ساعات النهار عند خطوط العرض الشمالية والجنوبية البعيدة من أواخر الخريف إلى أوائل الربيع، و«الاضطراب الاكتئابي المستمر» (عسر المزاج)؛ أحد أشكال الاكتئاب طويلة الأمد (المزمنة)، و«اضطراب تقلبات المزاج التخريبية»، واضطراب الانفعال المزمن

يصحح كتاب «لماذا لم يخبرني أحد بهذا من قبل؟» بعض المعتقدات الخاطئة السائدة حول انخفاض الحالة المزاجية، منها أن الحالة المزاجية السيئة ترجع إلى خطأ في الدماغ، أو أن هناك أشخاصا ولدوا ولديهم القدرة على أن يكونوا سعداء، تلك الأفكار تمنع أصحابها من امتلاك زمام صحتهم النفسية والعقلية، وتؤكد أن اضطراب المزاج، والإحساس بالفرح تارة، والحزن تارة أخرى، والتوتر، والغضب يحدث كأمر بشري طبيعي بسبب طبيعة الحياة؛ مشكلاتها وأحداثها.

يُعرف اضطراب الحالة المزاجية بأنه تشوه في الحالة العاطفية العامة، وعدم التوافق مع الظروف إلى الحد الذي يتعارض مع قدرة الفرد على أداء المهام الحياتية، مع شعور بقدر بالغ من الحزن، أو الفراغ، أو الانفعال، أو ربما يمر بفترات من الاكتئاب الذي يتناوب مع الشعور بقدر هائل من السعادة (الهوس). وربما تؤدي اضطرابات الحالة المزاجية في بعض الأحيان إلى زيادة مخاطر الإقدام على الانتحار.

تتفاوت أسباب تقلب المزاج بين الأسباب البسيطة التي لا تستدعي القلق، والأسباب المرضية التي تستدعي زيارة الطبيب، وقد تحتاج لعلاج طويل الأمد. غالباً ما يتلاشى تقلب المزاج في الحالات البسيطة من تلقاء نفسه مع زوال المسبب. من أسباب تقلب المزاج المفاجئ: التعب، والإجهاد الناتج عن العمل، والواجبات الدراسية المنزلية، وضغوطات الحياة المختلفة، أو التعرض لأحداث عاطفية قوية تثير عاطفة الحزن، والغضب، والتوتر. كما يؤثر اضطراب مستوى سكر الدم ما بين



الأحيان؛ بسبب الاعتبارات الثقافية، وارتفاع تكاليف المعالجات، ونقص عددهم. كلها عوامل تقف عائقاً أمام البحث عن المساعدة الاحترافية المهنية. وقد يكون من الصعب أيضاً في بعض الأحيان طلب المساعدة من الأشخاص الذين نعرفهم؛ فقد يدفع الاكتئاب إلى دفع الناس الذين نكون في أمس الحاجة إليهم بعيداً، ويؤدي إلى الانسحاب من الناس، ويعتقد الشخص المكتئب أنه لن يؤدي إلا إلى سقوط الآخرين.

تذكر الكاتبة أن «عبارة لماذا لم يخبرني أحد من قبل؟» تكررت كثيراً أثناء متابعتها لحالات الاعتلال المزاجي للذين قامت بعلاجهم، وكان كثير منهم يأتون للعلاج وهم يعتقدون أن مشاعرهم المؤلمة القوية هي نتيجة لخطأ في دماغهم، أو شخصيتهم، ولم يعتقدوا أبداً أن لديهم سلطة التأثير عليها، وأن العديد منهم لم يكونوا بحاجة لعلاج عميق طويل المدى - وإن كان مناسباً لبعض الحالات - ولكنهم كانوا بحاجة إلى بعض التثقيف حول كيفية عمل عقولهم وأجسامهم، وكيفية إدارة صحتهم العقلية والنفسية يومياً. وقدمت لهم طرقاً مناسبة لمضاعفة الصحة العضوية والنفسية بلا دواء، مع صندوق أدوات تؤدي وظائف مختلفة، إلى جانب بعض النصائح التي قد تساعد في الحفاظ على مزاج هادئ؛ مثل تجنب التوتر، والإجهاد، وضغط العمل قدر المستطاع، وتخصيص وقت للنفس، وممارسة الهوايات، واستغلال أوقات الفراغ في الذهاب في نزهة، أو قضاء الوقت مع الأهل والأصدقاء، والتحدث إلى النفس بكل ما هو جيد، وتجنب التقليل من شأنها، أو اللوم المبالغ فيه للنفس، وتناول طعام صحي متوازن مليء بالمعادن والفيتامينات والألياف، وممارسة الرياضة بانتظام بقدر الإمكان، والحصول على قدر كافٍ من النوم، وتجنب التدخين، والحرص على مراجعة المختصين في حال المعاناة من أعراض مرضية. تؤكد الكاتبة أن الإنسان يملك قوة أكبر مما يعتقد للتأثير على عواطفه؛ وهذا يعني أننا نستطيع التحكم في انفعالنا ودوافعنا، وأن الحالة المزاجية لا تحدد من نحن؛ وإنما هي حالة عابرة وإحساس نجربه، ونستطيع القضاء عليها بالوعي والإرادة.

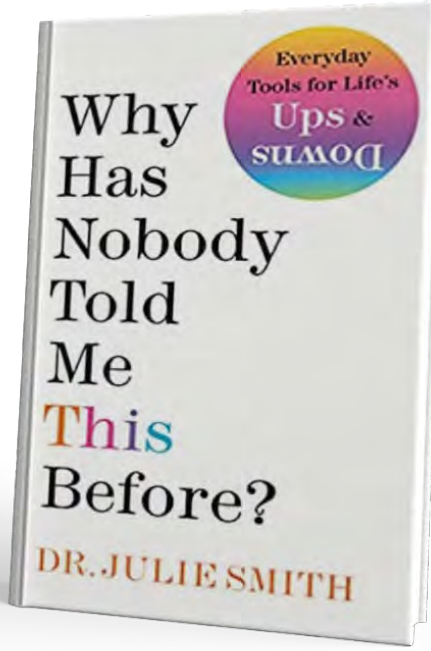
الكتاب: لماذا لم يخبرني أحد بهذا من قبل؟

المؤلف: جولي سميث

الناشر: أسبن - الولايات المتحدة 2022-

اللغة: الإنجليزية

* كاتبة وباحثة مصرية



المؤدية لاعتلال الحالة المزاجية وتجنبها قدر الإمكان. يشكل رفع الوعي حول كيفية توليد المشاعر عاملاً مساعداً لا غنى عنه في العمل المشترك بين المريض، والمعالج في تحسين الحالة المزاجية، لكنه لا يكفي وحده لإيجاد الحلول لكل المشاعر المؤلمة؛ فقد تحتاج المشاكل الأكثر تعقيداً لمساعدة احترافية. ترى «جولي» أن الطبيب لا يملك قدرة سحرية على شفاء أي شخص، أو تغيير حياته وإنما يقوم بدور المعلم، الذي يقدم المفاهيم والمهارات التي تجعل الأشخاص يشعرون بالأمل في المستقبل، ويؤمنون بقوتهم الخاصة، وقدرتهم على التعامل مع المواقف الصعبة بطرق جديدة صحية. وكلما فعلوا ذلك، ازدادت ثقتهم بقدرتهم على التأقلم. ستظل الحياة تعرض علينا الأثم، والمشقة، والخسارة؛ مما ينعكس على صحتنا النفسية والجسدية. لذلك؛ يجب أن نبنى صندوقاً من الأدوات ونتدرب عليها، ونكتسب مهارة أكبر في استخدامها كلما أقت علينا الحياة بأعبائها التي تتسبب في انخفاض حالتنا المزاجية. هذه المهارات تكون مفيدة لأولئك الذين لديهم اكتئاب، وهي الاختيار الأمثل لمن يواجه تقلبات المزاج سواء كبيرة، أو صغيرة. تؤثر الطريقة التي نشعر بها على أنواع الأفكار التي يمكن أن نزعجنا؛ فمن الصعب جداً أن يزول اضطراب المزاج من تلقاء نفسه، وقد يزداد سوءاً بمرور الوقت. لذلك؛ يلزم طلب المساعدة المتخصصة قبل أن تصبح حالة الاضطراب المزاجي شديدة؛ فقد يكون من الأسهل علاجها في أقرب وقت. طلب المساعدة عند احتياجها أمر ضروري لمعالجة القلق، وقد يكون ذلك من الصعب في الكثير من

المعلومات مرة أخرى إلى الجسم، حول ما يجب القيام به. ويؤدي فهم الطرق العديدة التي يعمل بها العقل إلى امتلاك القدرة على الصمود، والمرونة، والتسامح مع المشاعر المؤلمة؛ فالشفاء من صدمات الماضي يسبقه التأكد من امتلاك تلك القدرة. إن مصدر المشاعر ليس فقط في الرأس، وإنما في الجسم والظروف المعيشية، والماضي والحاضر، والتأثيرات المحيطة بها. وكلما زادت ممارستك لتحطيم العوامل التي تتفاعل لخلق مشاعرك السلبية، زادت سهولة التغييرات التي يمكن إجراؤها. يمكن اكتساب كيفية إدارة القلق، والتوتر، عن طريق مواجهة المخاوف. وأفضل الطرق للتعامل مع الخوف هو الهروب منه عن طريق تجنب المواقف التي تجعله يتأجج، ولكن كلما بالغنا في تجنب الخوف، زاد على المدى الطويل؛ فأسوأ ما يمر به الإنسان أن يترك الخوف يملئ عليه اختياراته. تتأثر الحالة المزاجية بعوامل عالمنا الخارجي، ولكننا في حاجة لفهم تلك التأثيرات؛ حتى نستخدم تلك المعرفة لنحول الحالة المزاجية في الاتجاه الذي نريد الذهاب إليه.

تطرح «جولي» فكرة أن الإدراك العاطفي مهارة يمكن بناؤها خارج سياق العلاج. لذلك؛ توصي الكاتبة بالاحتفاظ بتدوين كل التجارب الإيجابية، والسلبية، وتفصيل العواطف، والظروف الجسدية التي أدت لكل تجربة يمر بها الإنسان. سيساعد هذا تدريجياً على ملاحظة الأنماط، والعوامل الملموسة التي ساهمت في حالة مزاجية معينة. تزيد تلك الممارسات من الوعي، وتساعد في التعرف على المصدر الحقيقي للمزاج المنخفض؛ مما يساعد في إصلاحه بسهولة. فإذا لاحظت أنك تشعر بالفشل دائماً بعد متابعة وسائل التواصل الاجتماعي، سيعطيك هذا مؤشراً حول كيفية الابتعاد عن هذا الشعور، عن طريق حذف تطبيقات معينة، أو إلغاء متابعة الأشخاص الذين يولدون لديك مشاعر سيئة كالإحباط، أو عدم تقدير الذات عندما تقارن نفسك بهم.

تقدم الكاتبة نصائح نحن في حاجة إليها، والكثير من الأمور العملية المفيدة، والتعليمات اليومية، والتمارين التفاعلية؛ لنشعر بالهدوء، والقوة، والمرونة. أولى تلك التمارين أن يطرح الإنسان بعض الأسئلة على نفسه، مثل: ما الذي تفكر به عندما تظهر الحالة المزاجية السيئة؟ ومتى تبدأ هذه الأفكار في الظهور؟ وما الأحاسيس الجسدية الأخرى التي تشعر بها؟ وما الذي قمت به في الأسبوع السابق للحالة المزاجية السيئة؟ وتساعد الإجابة على هذه الأسئلة في تحديد الأسباب



حرب الرقائق: القتال من أجل التكنولوجيا الأكثر أهمية في العالم كريس ميلر

زينب الكلبانية *

المؤلف كريس ميلر يدرّس التاريخ الدولي في مدرسة فليتشر بجامعة تافتس. وهو أيضا زميل زائر لجين كيركباتريك في معهد أمريكي إنتربرايز، ومدير أبحاث أوراسيا في معهد أبحاث السياسة الخارجية. ينشر مقالاته لدوريات مهمة مثل فورين أفيرز وفورين بوليسي، وتُقتبس كتاباته بانتظام في منشورات مثل وول ستريت جورنال ونيويورك تايمز. وهو مؤلف لثلاثة كتب: «بوتينوميكس: القوة والمال في روسيا الصاعدة»، وكتاب «النضال من أجل إنقاذ الاقتصاد السوفياتي»، والكتاب الأخير «سنكون أسيادا: المحاور الروسية في شرق آسيا من بطرس الأكبر إلى بوتين». حصل على الدكتوراه والماجستير من جامعة ييل، وعلى البكالوريوس في التاريخ من جامعة هارفارد.

ميلر أن «حرب الرقائق» على أشدها؛ فصناعة الرقائق تحدد الآن كلا من هيكل الاقتصاد العالمي وتوازن القوة الجيوسياسية.

لكن الكتاب ليس جدليا؛ وإنما هو فيلم روائي واقعي مثل المسلسل الوثائقي التلفزيوني لعام 2012 «الرجال الذين بنوا أمريكا»، وهو عمل وثائقي ممتع يعتمد على أسلوب حياة القديسين. هكذا كتاب «حرب الرقائق» مليء بالبراعة المشروعة، والجشع، والقوة المخادعة التي تلعب على المسرح العالمي. الشخصيات، على الرغم من تشابهها في غطاء حامي الجيب، فإنها غريبة الأطوار بشكل رائع. البعض بغيبض للغاية. هناك ويليام شوكلي، الفيزيائي الحائز على جائزة نوبل، والذي اشتغل في وقت لاحق بتحسين النسل (يتجاهل ميلر بشكل غير مسؤول سقوط شوكلي الشائن في الجنون العصري والتعامل مع الحيوانات المنوية في وقت متأخر من العمر، والذي اعتبره نقيًا وكثيفا من الناحية العرقية بنقاط الذكاء). تُصرف المليارات على رقائق السيليكون حلت محل الأنابيب المفرغة في أجهزة الحاسوب القديمة.

في عام 1955، افتتح شوكلي (شركة شوكلي لأشباه الموصلات Shockley Semiconductor) في ماونت فيو، كاليفورنيا، جزئيا ليكون بالقرب من والدته المسنة، التي عاشت في بالو ألتو. هذه الحالة الطارئة؛ هي أحد الأسباب التي تجعل موطن أسلاف أشباه الموصلات هو منطقة خليج سان فرانسيسكو. لكن التأسيس الفعلي لوادى السيليكون يُنسب إلى «الثمانية الخونة»، وهم مجموعة من المهندسين، من بينهم مور الذي انفصل عن شوكلي في عام 1957؛ لأنه كان سيئا للغاية، وغير قادر على التفكير تجاريا. بدأ الرجال الثمانية مجتمعين (شركة فيرتشايلد لأشباه الموصلات Fairchild

توضح حرب الرقائق المضاءة والرائعة، أنه لفهم الوضع الحالي للسياسة والاقتصاد والتكنولوجيا، يجب علينا أولا أن نفهم الدور الحيوي الذي تلعبه الرقائق. في 19 أبريل 1965، ظهر مقال بعنوان «حشر المزيد من المكونات في الدوائر المتكاملة» في مجلة إلكترونيات، وهي مجلة تجارية عن صناعة الراديو.

لم يكن التأمّل الجاد حول حشر المكونات الذي قام به جوردون إي مور، مهندس الإلكترونيات الذي عمل في إدارة شركة (Intel) مجرد تمرين متخصص، لكنه المقال الأكثر نفوذا في المجالات التجارية المنشورة على الإطلاق. من خلال استقراء ملاحظاته في صناعة أشباه الموصلات الوليدة، بالقرب من سان فرانسيسكو، تمكن مور من التنبؤ بمستقبل الحوسبة بأكمله.

والجدير بالذكر أنه توقع أن عدد الترانزستورات التي يمكن للمهندس حشرها على شريحة من السيليكون سيتضاعف كل عامين تقريبا. تأكد هذا الإسقاط بشكل مثير للإعجاب على مر العقود؛ حتى أصبح يُعرف الآن باسم قانون مور. قبل ستين عاما، كان من الممكن تركيب أربع ترانزستورات على شريحة واحدة، أما اليوم فينتج حوالي 11,8 مليار علبة.

الإثارة غير العادية لقانون مور، وشيوعه المتزايد باستمرار، هما أمران أساسيان يقوم عليهما كتاب كريس ميلر الجديد «حرب الرقائق»، الذي يؤرخ التطوير والانتشار والنشر الاستراتيجي لرقائق أشباه الموصلات، التي يمكنك الآن بواسطتها تحريك كل شيء من السيارات إلى الألعاب إلى الأسلحة النووية. ميلر، الذي يدرّس الشؤون الدولية في جامعة تافتس، يجلب خبرته في التاريخ الروسي والصيني، إلى احتكار القلة العالمي الذي يصنع الرقائق وأدوات المسابك بدقة تامة. يؤكد

قد تتفاجأ عندما تعلم أن الرقائق الدقيقة هي المورد النادر الذي يعتمد عليه العالم الحديث اليوم، وتُبنى القوة العسكرية والاقتصادية والجيوسياسية على أساسه. كل شيء تقريبا - من الصواريخ إلى الموجات الدقيقة، والهواتف الذكية إلى سوق الأسهم - يعمل على رقائق. إلى وقت قريب، كانت أمريكا تصمم أسرع الرقائق وتصنعها، وقد حافظت على ريادتها باعتبارها القوة العظمى. الآن، مكانة أمريكا تتراجع؛ إذ يقوضها المنافسون في تايوان، وكوريا، وأوروبا، وقبل كل شيء، الصين. اليوم، كما تكشف حرب الرقائق، فإن الصين، التي تنفق المزيد من الأموال كل عام في استيراد الرقائق أكثر مما تنفق على استيراد النفط، تضخ المليارات في مبادرة لبناء الرقائق؛ للحاق بالولايات المتحدة. إن التفوق العسكري الأمريكي والازدهار الاقتصادي على المحك.

يشرح المؤرخ الاقتصادي كريس ميلر كيف أصبح لأشباه الموصلات دور حاسم في الحياة الحديثة؟ وكيف أصبحت الولايات المتحدة مهيمنة على تصميم الرقائق وتصنيعها؟ وكيف طبقت هذه التكنولوجيا على الأنظمة العسكرية؟ ينبع انتصار أمريكا في الحرب الباردة، وهيمنتها العسكرية العالمية من قدرتها على تسخير قوة الحوسبة بشكل أكثر فعالية من أي قوة أخرى. ولكن هنا أيضا، الصين تلحق بالركب، مع طموحاتها في بناء الرقائق، والتحديث العسكري. لقد تركت أمريكا المكونات الرئيسية لعملية بناء الرقائق تلت من قبضتها؛ مما ساهم في نقص الرقائق في جميع أنحاء العالم، وتسبب أيضا في حرب باردة جديدة مع خصم قوة عظمى يائسة من سد الفجوة.



شركة تايوان لصناعة أشباه الموصلات (TSMC)، ومصانع الرقائق التي لا تضاهاى. وفي عام ١٩٩١، أصبح تشانغ من عالم حرب الرقائق المعترف به عالميا. بعد أن نشأ في الصين وهونغ كونغ البريطانية خلال الحرب الصينية اليابانية الثانية، عبر المحيط، وأكمل درجة الهندسة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. (ولاحقا، حصل على درجة الدكتوراه في جامعة ستانفورد)، وفي عام ١٩٥٨، التحق بشركة تكساس للمعدات، حيث قرر تحسين آلات تصنيع الرقائق، التي أصبحت (ولا تزال) موقعا كبيرا لابتكار رقائق السيليكون نفسها.

فيما قد يثبت أنه خطأ فادح، مرت شركة تكساس للمعدات على تغيير رئيسها التنفيذي في أوائل الثمانينيات. لذلك، بدعوة من الحكومة التايوانية، توجه تشانغ إلى تايوان، حيث أسس شركة تايوان لصناعة أشباه الموصلات لصنع رقائق لشركات أخرى. وتمكنت الشركة من التركيز على زيادة الكفاءة أثناء العمل مع أكبر مصممي الرقائق، وخاصة (أبل Apple). إحدى القصص الممتازة التي يرويها ميلر تدور حول الوقت الذي اختارت فيه شركة إنتل، التي كانت تنتج رقائق لأجهزة حاسوب أبل لسنوات، وعدم تصنيع رقائق لجهاز آيفون iPhone.

يشير هذا التعاون الهائل بين تايوان وبقية العالم الديمقراطي إلى أن شائعات زوال العولمة مبالغ فيها إلى حد كبير. كما يوضح كتاب «حرب الرقائق»، فإن صراع الأسلحة المدوية بين الاستبداد والديمقراطية مدعوم من رقائق السيليكون. في هذا الصدام، تعد تايوان حاليا مركزا غير محتمل للتكنولوجيا، والاقتصاد العالمي، ومنافسة الصين عالية المخاطر مع الغرب.

يعتبر الزخم السريع لقانون مور محركا مثاليا لإثارة ميلر. وإذا كان بإمكان أي كتاب أن يجعل الجمهور العام يملأ عصر السيليكون، ويدرك أخيرا كيف ينافس العصر الذري للدراما والاستيراد؛ فإن «حرب الرقائق» يفعل ذلك.

الكتاب: حرب الرقائق: القتال من أجل التكنولوجيا الأكثر أهمية في العالم

المؤلف: كريس ميلر

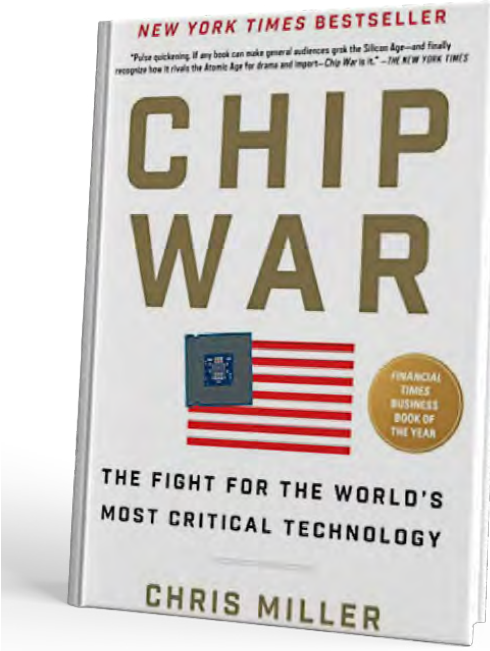
دار النشر: سكريبنر للنشر والتوزيع

سنة النشر: 2022

اللغة: الإنجليزية

عدد الصفحات: 464 صفحة

* كاتبة عُمانية



ينسب إليها إنعاش الاقتصاد الياباني بعد الحرب، وذلك أساسا من خلال بيع منتجات مثل (Walkman) إلى الأسواق الأمريكية.

ثم هناك الصين أيضا. على الرغم من أن البعض في الولايات المتحدة ظنوا خطأ أن شي جينبينغ، رئيس البلاد والأمين العام للحزب الشيوعي الصيني، هو مصلح عندما وصل إلى السلطة لأول مرة، يشير ميلر إلى أنه منذ البداية، شعر جينبينغ بالقوة الكافية على الإنترنت للسخرية من الاعتقاد الغربي، وأنها ستنتشر القيم الديمقراطية. لقد أنشأ شبكة إنترنت استبدادية كاملة من خلال بناء مغفلين لشركات التكنولوجيا الأمريكية مثل Google و Facebook (أثناء حظر النسخ الأصلية)، والسماح للآخرين بالدخول إلى الصين فقط إذا خضعوا لسياسات الرقابة الخاصة بها. ما فشلت الصين في تحقيقه في عهد جين بينغ هو الاستيلاء على حصتها المتوقعة من سوق الرقائق. بفضل المساعدة الحكومية الهائلة، تنتج البلاد الآن ١٥٪ من رقائق السيليكون في العالم، وفقا لإحصاءات ميلر، وهي جزء ضئيل نسبيا من الكعكة، حيث من الواضح أن الصين لا يمكنها الاعتماد على رأس المال الخاص، الذي تدفق في قطاع أشباه الموصلات في بقية أنحاء العالم. ومن بين المستفيدين من هذا السخاء، اليابان التي تصنع ١٧٪ من رقائق العالم، وتايوان ٤١٪، حسب إحصاءات ميلر.

تايوان هي جبل أوليمبوس لرقائق السيليكون. في قمتها موريس تشانغ، أستاذ الدبلوماسية الاقتصادية، ومؤسس

(Semiconductor). كان زعيمهم بوب نويس المولود في ولاية آيوا، المخترع المحبوب للرقاقة الإلكترونية. لم يصبح نويس متخصصا في تحسين النسل، وإنما أسس (شركة إنتل) مع مور، وكان معروفا حتى وفاته في عام ١٩٩٠ كرئيس لبلدية وادي السيليكون.

في البداية، أراد السوفييت قطعة من لعبة الرقائق. يصف ميلر الطريقة التي أدت بها التبادلات الخفية لأبحاث أشباه الموصلات بين موسكو وستانفورد في الستينيات من القرن الماضي، إلى حدوث سباق تسلح في الحرب الباردة ألقى بظلاله على السباق النووي. ظهرت ألعاب التجسس في تلك الفترة أيضا. انضم ألفريد سارانت وجويل بار، من سكان نيويورك الشيوعيين والمهندسين المدربين، إلى حلقة تجسس يوليوس روزنبرغ، وهربا إلى الاتحاد السوفيتي، وساعدا في بناء صناعة الكمبيوتر السوفيتية. للأسف، كان البيروقراطيون تحت قيادة نيكيتا خروتشوف مذعورين للغاية من اللحاق بالولايات المتحدة لدرجة أنهم رفضوا السماح للعلماء السوفييت بمتابعة شغفهم؛ مما أجبرهم على القيام بالعمل غير اللائق المتمثل في نسخ الدوائر المتكاملة التي تنتجها (شركة تكساس للمعدات Texas Instruments)، وهي شركة أمريكية أخرى لأشباه الموصلات. وبهذه الطريقة، تخلفوا عن الركب، غير قادرين على مواكبة مهندسي الرقائق، امتثالا لقانون مور، وتقدموا بسرعة فائقة.

يأتي فشل أوروبا في إدراك أهمية الترانزستورات، في قصة رائعة عن الرئيس الفرنسي شارل ديغول الذي تلقى راديو الترانزستور - هدية من هاياتو إيكيذا، رئيس وزراء اليابان، في عام ١٩٦٢. يبدو أن ديغول وجد الراديو مقيتا، وأداة مبدلة للبرجوازية الصغيرة. في وقت لاحق، في هولندا، حققت أوروبا تقدما خاصا بها في هندسة الرقائق، مع اختراع الطباعة الحجرية فوق البنفسجية الشديدة (EUV)، وهي تقنية دقيقة للغاية استمرت في تقليص الترانزستورات عندما توقف تقدم التصغير مؤقتا. وفقا لميلر، تسيطر الآن شركة هولندية على ١٠٠٪ من سوق EUV، والتي بدونها لا يمكن تصنيع رقائق متطورة.

يعتبر أكيو موريتا، الشريك المؤسس لشركة سوني، رمزا آخر في حرب الرقائق؛ فقد كان رائدا في استخدام الرقائق في الإلكترونيات الاستهلاكية. لقد رفض وريث الجيل الخامس عشر لعمل تقطير الساكي أن يكون مجرد رقم في الجوقة، ودخل في الترانزستورات في الخمسينيات من القرن الماضي، وأنشأ الشركة التي

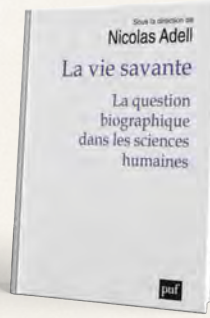
إصدارات عالمية جديدة

اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

حياة العلماء: سؤال السيرة الذاتية في العلوم الإنسانية

المؤلف: نيكولا أديل الناشر: منشورات PUF فرنسا
تاريخ النشر: 2022 عدد الصفحات: 319 صفحة

يبحث الكتاب في أشكال وتأثيرات المنجز العلمي على حياة العلماء وخصوصية الحياة التي تقود أعمالهم في مجالات شتى من المعرفة، في مجال العلوم الاجتماعية، وخاصة الأثروبولوجيا والإثنولوجيا والجغرافيا. لهذا يسلط الكاتب الضوء على أهمية حالات القطيعة (بين الحقل والمختبر، بين الملاحظة والكتابة، بين الحياة والعمل، وبين أمور أخرى) التي تستوجب جهداً دائماً ينتج عنه سيرة ذاتية معينة، وأحياناً تكون متوحدة بشدة (عندما تعمل الفاصلة بينهما وتعطي للعمل حياة) وفي بعض الأحيان تكون مجزأة للغاية (عندما تفضل الفواصل ويتشتت الفرد في أدوار متعددة ويغدو في حالة توتر دائم). وهكذا يزداد الكتاب المؤرخين وعلماء الاجتماع وعلماء الأثروبولوجيا في العلوم الإنسانية والاجتماعية بأداة قوية للتفكير حول الحياة والعمل، بعيداً عن الحكايات الطريفة عنهم أو استبدادية النزعة والطموح. يتناول الكتاب أعمال علماء مثل بيير بورديو، وبيير كلاستر، ومارسيل موس، وجيرمان تيون وبول فيدال، وغيرهم. يتضمن الكتاب مساهمات لكل من جان فرانسوا بيرت وإليونور ديفيفي وأنييس فاين ونيكولا جينسبيرغر وجيروم لامي وسيلفي سانيي وديلان سيمون وسيلين تروتمان والر وناسادي ياسين.



قدرات القراءة: من أفلاطون إلى الكتاب الإلكتروني

المؤلف: بيتر سزندي الناشر: منشورات لا ديكوفيرت، فرنسا
تاريخ النشر: 2022 عدد الصفحات: 220 صفحة

عندما أقرأ، يحنني صوت بداخلي على القراءة («اقرأ!»)، بينما يفعل صوت آخر ذلك، فيضفي صوته على صوت النص، كما فعل القراء القدامى الذين التقيناهم على وجه الخصوص مع أفلاطون. القراءة تعني أن تجسد هذا المشهد الذي، حتى عندما يستوعب في قراءة صامتة ظاهرياً، يظل جماعياً: إنها مقام علاقات القوة، والسيطرة، والطاعة، باختصار، لمجموعة كاملة من توزيع دقيق للأصوات. يؤدي الاستماع اليقظ إلى تعدد الأصوات المتأصلة في القراءة إلى مناطقها المظلمة: حيث، على سبيل المثال يقودك كتاب إلى استكشاف تجارب ومعارف غنية أو لطيفة. ولكن من خلال الاستماع إلى التقارير المتضاربة للأصوات التي تقرأ بداخلنا، فإننا أيضاً قادرون على إعادة النظر في الفكرة، المبتدلة منذ عصر التنوير، والتي تسعى إلى التحرر بواسطة القراءة. تعد المناطق المظلمة للقراءة مناطقها الرمادية: حيث يخترع القراء أنفسهم، من خلال اختبار القوى الناعمة أو الناقمة أو الثائرة التي تتصادم في وجدانهم ليصبحوا آخرين. اليوم أكثر من أي وقت مضى، في عصر النص المتشعب، تعني القراءة تجربة القوى والسرعات المتضاربة التي تمر من خلالنا وتشكل مستقبلنا. يقوم الكتاب بحفريات للقراءة تتجاوز مع عدد من نظريات القراءة، تبدأ مع هوبز إلى دي سيرتو، وتمر عبر بنيامين أو هايدغر أو لكان أو بلاشكو. لكنها تحاول أيضاً أن تفحص، قدر الإمكان، مشاهد من القراءة الرائعة التي وهبها لنا فاليري أو كالفينو أو كراسنوروكاي.



الزراعة بدون مزارعين

المؤلف: فرانسوا بورسيغل، برتراند هيرفيو الناشر: Presses de Sciences Po فرنسا
تاريخ النشر: 2022 عدد الصفحات: 224 صفحة

أصبحت الزراعة موضوع نقاش يخوض فيه الجميع خصوصاً مع هيمنة الثورة الزراعية الكبيرة الجارية اليوم وما تسببت فيه من تحولات بيئية مؤلمة في كثير من الأحيان، وانهايار ديموغرافي لهذه البيئة المهيمنة، وإضعاف مكانتها ومورتها في المجتمع، والمخاوف البيئية. لا تزال فرنسا تعتبر نفسها بلداً للمزارع المستقلة الصغيرة والمتوسطة الحجم، الذي كان مطلوباً لفترة طويلة وتعزز خلال فترة التحديث لما بعد الحرب، لكنه انهار: مما أفسح المجال لأشكال جديدة ومتنوعة للغاية من تنظيم العمل ورأس المال الزراعي، إن شخصية الزوجين الذين يستغلان أرضهما، والتأثير المتبادل الكامل بين الحياة في العمل والحياة الأسرية، وفكرة التفرد الفلاحي الثابت، زالت جميعها تقريباً. بالإضافة إلى هذه التغييرات المؤلمة في كثير من الأحيان، هناك الانهيار الديموغرافي لهذه البيئة المهيمنة، وضعف مكانتها ومورتها في المجتمع الفرنسي، والمخاوف البيئية. قد يكون الكتاب بمثابة تحذير صريح من تفكك المنظومة الزراعية في فرنسا، لكنه يقدم نموذجاً زراعياً متواجداً في كثير من البلدان الأخرى، التي تعاني من تحولات خطيرة.



اللغة الإنجليزية (محمد الشيخ)

فلسفة العلم الاجتماعي (مدخل معاصر)

المؤلف: مارك ريسجورد
دار النشر: راولتيدج
سنة النشر: 2022

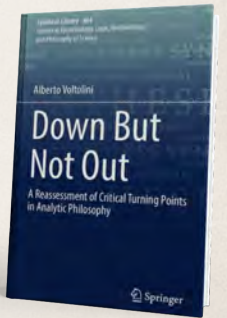
تشهد الفلسفة المعاصرة في شق منها على ازدهار مبحث "الفلسفة الاجتماعية"، وذلك من خلال الاهتمام بقضايا شأن الاعتراف ومجتمع الكرامة ومجتمع المهانة والصراع الاجتماعي وغيرها من الموضوعات. كما تشهد في شق آخر على اهتمام بالعلوم الاجتماعية، بعد أن كان فرع الفلسفة الذي يهتم بالعلوم - فلسفة العلوم - يهتم بالأولى بالعلوم الحقة. والكتاب الذي بين أيدينا يدخل في هذا السياق؛ إذ يفحص مختلف التساؤلات التي تطرحها الفلسفة حول المجتمع؛ نظير مسألة القيم في البحث الاجتماعي، ومسألة النزعة الطبيعية في أمر الصلة بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، ومسألة النزعة الاختزالية التي تتعلق بإمكان رد المؤسسات إلى الأفراد الذين يشكلونها. وفي الجملة، الكتاب درس لطلبة والباحثين على حد السؤل في إمكان إسناد ممارسة التفلسف إلى قضايا اجتماعية معيشة وليس مجرد التفلسف بإنشاء عبارات بدءاً من تجريدات وسفاسف القول.



إعادة تقويم المسائل النقدية التي شكلت منعطفات في الفلسفة التحليلية

المؤلف: ألبرتو فولتوليني الناشر: سبرينجر
تاريخ النشر: 2022

قد تستعصي ترجمة عنوان هذا الكتاب إلى ألسن أخرى. فهو يفيد معنى ما تم إبطال حركته ولم يتم هزمه الهزيمة النهائية. والمؤلف يقصد بذلك تلك الأنظار الفلسفية التي لطالما اعتبرت الفلسفة التحليلية باطلة أو مجرد لغو من الكلام، لكنها لم تخف أبداً لمجرد تسفيهاها بالمنطق وإبطالها الاستدلال المنطقي. يحضر المؤلف بعمق في قضية حساسة من قضايا الفلسفة المعاصرة: النزاع بين الفلاسفة التحليليين الذين لا يرون غير المنطق والعلم سبيلين إلى حل القضايا الفلسفية والفلاسفة القاريين الذين يرون أن قضايا الفلسفة ما كان من شأنها أن تحل على هذا النحو الذي يجدونه اختزالياً. ويعود المؤلف إلى منازعة الفلاسفة التحليليين للفلاسفة القاريين في شأن دعاوهم الفلسفية واتهامها بالخلو من المعنى أو بالنزوع نزعة لا عقلية صوفية. ويبين أنه على الرغم من هذه الحملة القوية - شأن حملة المناطقة الوضعيين مثلاً على فكر هايدجر، ولا سيما قوله إن العدم يعدم نفسه - لم تؤد إلى إخلاد تلك الفلسفات في ركن ركين بمقبرة تاريخ الأفكار الفلسفية.



الاعتراف وشكل الحياة البشرية

المؤلف: هايكي إيكهيمو دار النشر: راولتيدج
سنة النشر: 2022

صار موضوع «الاعتراف» يحتل مكان الصدارة في الأثروبولوجيا الفلسفية الحديثة وفي الفلسفة الاجتماعية والسياسية المعاصرتين. لكن، ما الاعتراف يا ترى؟ ولماذا الاعتراف؟ وأين تكمن أهميته؟ أحد أهم جوانب هذا الكتاب الإيجابية أنه يعرض على القارئ إطلالة توليفية شاملة حول دلالة الاعتراف في مختلف نماذج الفلسفة المعاصرة. أكثر من هذا، يؤرخ هو لمفهوم الاعتراف عند رواه الكبار من فيشته إلى هونيث، مروراً بهيجل وتاييلور وفريزر. ويحاول صاحب الكتاب إقناعنا أن موضوع الاعتراف ما كان ليهم فلاسفة الغرب والإنسان الغربي وحدهما، وإنما شأن الاعتراف أنه مفهوم كونني يهم كل إنسان بوسمه إنساناً. وذلك لأنه مفهوم عابر للثقافات وموحد لها وأفق نحو حياة بشرية أكثر إنسانية، على الرغم من كل تباينات ثقافات العالم واختلافاتها وتنازع قيمها.

